

ISSN: 2074-9554 (Print)

Journal of Al-Frahedis Arts

available online at: <http://www.jaa.tu.edu.iq>

JOFA
Journal
of Al-Frahedis Arts

Britain's policy in the Crimean War 1853 - 1856

سياسة بريطانيا في حرب القرم 1853 – 1856

Lec. Dr. Ahmed Abd Allah Al-Juburi

م.د. أحمد عبد الله الجبوري

E-mail: fara_arts@ tu.edu.iq

Article info.

Article history:

-Received

-Accepted

Keywords:

- Britain's Policy

- Crimean War

Abstract: The Iraqi academic and scientific studies have paid attention to the history of the Eastern question, especially Britain's policy towards this issue, because of the lack of what was written in Arabic on the one hand, and the difficulty of discussing the issues of the Eastern question on the other. Its policies and the speed of the change of alliances, which gave the subject an advantage that makes it worthy of interest and study, especially as the issue of the East is still a subject Bakra and need a lot of academic studies and research to cover all time periods in order to fill the need of the Arab reader with FH and see.

The British policy in the Crimean War 1853-1856, in that the war made important secretions, both on the Ottoman Empire and on international relations and one of the most complex subjects in the history of the Eastern issue. This made the British role more difficult in this war and the position adopted by British diplomacy and the conflict within The British government among the decision-making parties, which necessitated research, as the position of Britain in the Crimean War has established a new phase in European relations - the Ottoman, the traditional

policy of Britain to maintain the maintenance and integration of the territory of the Ottoman Empire and adopted by one of the pillars of the policy The British British and William bit and then Palmerston in the face of the continuous Russian march towards the Ottoman Empire and its property in Eastern Europe, whether military action or the escalation of the policy of the peoples of the Ottoman Empire, which led to the end of Britain during the events of the eastern issue with the Ottoman Empire against the ambitions of Russia and European countries In which. This is not for the Ottomans themselves but for the preservation of British interests in the East.

الخلاصة: أولت الدراسات الأكاديمية والعلمية العراقية اهتماماً بتاريخ المسألة الشرقية ولاسيما سياسة بريطانيا تجاه هذه المسألة اهتماماً وذلك بسبب قلة ما كتب عنها باللغة العربية من جهة، وصعوبة الخوض في موضوعات المسألة الشرقية من جهة أخرى، وما قد يسببه ذلك للباحث من الإرباك نتيجة لتداخل مصالح القوى الكبرى وتناقض سياساتها وسرعة تبدل التحالفات مما أضفى على الموضوع ميزة تجعله جدير بالاهتمام والدراسة، ولاسيما وأن المسألة الشرقية لا تزال موضوعاً بكاملاً وتحتاج الكثير من الدراسات الأكاديمية والبحثية لتغطية جميع الحقب الزمنية من أجل سد حاجة القارئ العربي بالمعرفة والاطلاع.

تُعدّ سياسة بريطانيا في حرب القرم 1853-1856 بما أدته تلك الحرب من إفرازات مهمة، سواء على الدولة العثمانية أم على العلاقات الدولية واحدة من اعقد الموضوعات في تاريخ المسألة الشرقية، ومما زاد في صعوبة الدور البريطاني في هذه الحرب والموقف الذي تبنته الدبلوماسية البريطانية والصراع داخل الحكومة البريطانية بين أطراف صنع القرار مما استوجب البحث فيها، حيث أن موقف بريطانيا في حرب القرم قد أسس لمرحلة جديدة في العلاقات الأوربية- العثمانية، ألا وهي السياسة التقليدية لبريطانيا بالمحافظة على صيانة وتكامل أراضي الدولة العثمانية والتي تبناها أحد أركان السياسة البريطانية ولیم بت ومن بعده بالمرستون في مواجهة الزحف الروسي المستمر تجاه الدولة العثمانية وأملاكها في أوربا الشرقية سواء بالعمل العسكري أم بالسياسة التصعيدية في تأليب الشعوب الخاضعة للدولة العثمانية والتي أدت في النهاية إلى وقوف بريطانيا طيلة أحداث المسألة الشرقية مع الدولة العثمانية بوجه أطماع روسيا

والدول الأوروبية فيها. ليس ذلك من أجل العثمانيين أنفسهم بل من أجل الحفاظ على المصالح البريطانية في الشرق.

المقدمة:

كان للضعف والانحدارات التي لحقت الدولة العثمانية وتدخل الدول الكبرى في شؤونها اثره في سياسة السلاطين العثمانيين الذين حاولوا القيام ببعض الاصلاحات لجعل الدولة العثمانية اكثر عصرية في نظمها العسكرية وتشريعاتها الادارية ابتداء بالسلطان محمود الثاني 1808-1839 الذي حل الانكشارية وشتتها بعد ان اصبحت عالية على الدولة العثمانية بعد توقف معاركها وانشاء جيش نظامي حديث، وسار على تلك السياسة السلطان عبد المجيد 1839-1856 والذي اشتهر باصدار (خط شريف كولخانة) سنة 1839 واعلانها عن الممثلين الدبلوماسيين الأوروبيين، وقد نصت هذه اللائحة على اعطاء الحقوق الكاملة للأفراد في الحرية والمساواة في الضرائب وحق التملك واصلاح الجيش والقضاء.

تناول البحث الصراع الدائر داخل الحكومة البريطانية ولاسيما بين التيار المؤيد لبقاء الدولة العثمانية كضرورة وركيزة مهمة في وجه التطلعات الروسية تجاه المياه الدافئة وبين التيار المؤيد لإيجاد نوع من التفاهم والتسوية مع روسيا فيما يتعلق بامتلاكات الدولة العثمانية في أوروبا ووجودها والذي أصبح عالية على الدول الأوروبية الكبرى ولاسيما بريطانيا.

كانت مشاركة بريطانيا في حرب القرم هدفها حماية المصالح البريطانية في الدولة العثمانية وعدم السماح لروسيا باستغلال مسألة الأماكن المقدسة في فلسطين لتتصرف في شؤون الدولة العثمانية كما تشاء، الأمر الذي حول الحرب من حرب عثمانية أوربية إلى حرب أوربية خاصة بعد أن استطاعت بريطانيا أن تؤلب الدول الأوروبية الكبرى وتشكل تحالف من تلك الدول للوقوف بوجه التطلعات الروسية نحو الدولة العثمانية فكان في النهاية أن انتصر التيار المؤيد لبقاء الدولة العثمانية والمحافظة على سلامة أراضيها.

طلب امبراطور فرنسا نابليون الثالث من السلطان العثماني عبد المجيد الأول ان يعيد لفرنسا باسم الصداقة القائمة بينهما الامتيازات الفرنسية القديمة في الاماكن المقدسة، وقد وافق السلطان بعد تردد على المطالب الفرنسية واعيد للرهبان الكاثوليك حقوقهم القديمة وتسلموا مفاتيح كنيسة بيت لحم مما اغاض القيصر الروسي نيقولا الاول كثيراً والذي خشي من تزايد النفوذ الفرنسي في الدولة العثمانية لتبدأ مرحلة جديدة من الصراع السياسي والدبلوماسي والعسكري على النفوذ بين الدول الكبرى في الدولة العثمانية والتي ادت الى قيام حرب القرم 1853-1856.

1- بريطانيا وعلان روسيا الحرب على الدولة العثمانية:

أدى فشل بعثة الأمير منشيكوف الروسية الخاصة بتسوية مسألة الأماكن المقدسة في شباط عام 1853 إلى استانبول لتتقدم بمشروع معاهدة تعقد بين روسيا والدولة العثمانية وتحقيق امتيازات سياسية ودينية لروسيا إلى قيام الأخيرة بإعلان الحرب على الدولة العثمانية وذلك بقيامها بعبور نهر البروث واحتلال الإماراتين الدانوبيتين (مولدافيا وولاشيا) في 2 حزيران 1853، استهجن حكومة بريطانيا الاعتداء الروسي على ممتلكات الدولة العثمانية، لكن الحكومة البريطانية لم تفعل أي شيء باستثناء ما كان من إرسال الأسطول البريطاني إلى المياه العثمانية في (بسكايه)⁽¹⁾.

في حين كان الاعتقاد أنه من الخطأ الاحتفاظ بالأسطول هناك لفترة طويلة؛ لأنه يجب أن تكون هناك فرصة لصنع السلام أو اتخاذ القرار اللازم بشأن الأسطول مما وضع حكومة بريطانيا أمام خيارات محددة.

طلب كلارندون (Clarndon) وزير الخارجية البريطاني في 2 حزيران 1853 من حكومته بأن يتحرك أسطولها للدخول في المياه العثمانية⁽²⁾.

أخذت الصحافة البريطانية، وفي مقدمتها المانشستر جارديان بتوضيح أهمية الدولة العثمانية التجارية لبريطانيا كما دعت للحسم في ابعاد الأسطول الفرنسي المتواجد في المياه العثمانية، قالت صحيفة الديلي نيوز بأن القيصر الروسي نيقولا الاول 1825-1855 سيذهب بعيداً وأنه يمكن تجنب الحرب إذا تعاون الأسطول البريطاني مع الأسطول الفرنسي، علماً أنه كان هناك اتفاق بين بريطانيا وفرنسا تم التوقيع عليه من قبل الدولتان في شباط عام 1853 قررتا بموجبه عدم القيام بأي نشاط يخص المسألة الشرقية إلا باتفاق مسبق بينهما⁽³⁾.

أما النمسا وبروسيا فقد أبدتا خيبة أملهما من القيصر الروسي في حين بقيت بريطانيا وفرنسا وحدهما تواجهان الموقف وتتخذان الإجراءات المضادة التي تراها متناسب ودرجة التصعيد الذي أحدثه في النزاع⁽⁴⁾ مما دفع القيصر للفت في عضد بريطانيا من خلال عمله للتقرب من فرنسا وذلك من خلال لقائه مع السفير الفرنسي في سان بطرسبورغ. إذ ناشد الحكومة الفرنسية بأن تستخدم نفوذها في استانبول للاستجابة للمطالب الروسية، لكن هذا لم يغير من الأمر شيء حيث اعتبرت بريطانيا وفرنسا إن احتلال الإماراتين الدانوبيتين هو بمثابة اعتداء صارخ على سيادة الدولة العثمانية⁽⁵⁾.

أصبح أبردين (Aberdeen)⁽⁶⁾ 1852-1855 رئيساً الوزراء البريطاني. مع تقدم الأزمة أكثر شكاً في النوايا الروسية حيث كتب إلى كلارندون وزير خارجيته في 7 حزيران 1853 ((إننا ندفع سريعاً باتجاه الحرب اعتقد أن الحكومة يجب أن ترى إلى أين سنذهب))⁽⁷⁾. أما كلارندون وزير خارجية بريطانيا فقد كتب إلى ستراتفورد (Stratford)⁽⁸⁾ سفيره في استانبول في اليوم التالي بأن اللجوء للقوة ضرورياً ضد التدخل الروسي⁽⁹⁾، لم يكن ذلك يعني التوافق في

الرؤى والتصورات داخل الحكومة البريطانية، بل هنالك اختلاف في الأفكار بين وزير الداخلية بالمرستون (Palmerstone)⁽¹⁰⁾ وستراتفورد في الطريقة التي يجب التعامل فيها مع الدولة العثمانية وروسيا، في ظل تلك الخلافات وصل الأسطول البريطاني إلى بيسكايه يوم 13 حزيران 1853، وفي اليوم التالي وصل الأسطول الفرنسي⁽¹¹⁾ وفور وصولهما طلبت منهما روسيا سحب أسطوليها، أعلنتا أنهما لن تفعل ذلك إلا في حالة انسحاب روسيا من المناطق التي احتلتها وهما (مولدافيا وولاشيا)⁽¹²⁾ قام رشيد باشا وزير الخارجية العثماني بإرسال رفض الدولة العثمانية للإنذار النهائي الذي قدمه وزير الخارجية الروسي نسلرود في 31 آيار 1853⁽¹³⁾، وفي 16 حزيران⁽¹⁴⁾ قامت الدولة العثمانية ببعض الاستعدادات العسكرية الاحتياطية⁽¹⁵⁾.

وكتب كلارندون في 26 حزيران 1853 إلى ستراتفورد سفيره في استانبول بأن ينصح الحكومة العثمانية بألا تقاوم العدوان الروسي بالقوة العسكرية وذلك حتى استنفاد كل الوسائل السلمية التي تقوم بها الدول الأوروبية الموقعة على معاهدة المضائق لعام 1841 والتي أصبحت الدولة العثمانية بموجبها تحت ضمانتها⁽¹⁶⁾، أما بالمرستون فقد كان له في ذلك الشأن رأي آخر حيث أعرب عن أمله في رسالة إلى رئيس حكومته أبردين في 4 حزيران 1853 بإرسال الأسطول البريطاني إلى مضيق البسفور بأسرع وقت ممكن على أن يكون جاهز لدخول البحر الأسود إذا ما دعت الضرورة لحماية الأراضي العثمانية، لكن أبردين رد عليه، بأن الإقدام على مثل هذا العمل يُعدّ خرقاً لاتفاقية المضائق عام 1841⁽¹⁷⁾، أما على مستوى الوضع داخل الدولة العثمانية فقد كان الأمر يستوجب قوة نفوذ السفير البريطاني في استانبول ستراتفورد والذي انظم إليه (بروك) Bruch سفير النمسا في استانبول وبعض السفراء الآخرين واتفقوا على أن يقوم رشيد باشا وزير الخارجية العثماني بالاحتجاج ضد روسيا لاحتلالها الامارتين العثمانيتين وفي الوقت نفسه إرسال سفير خاص إلى القيصر الروسي لإجراء المفاوضات معه⁽¹⁸⁾ لذلك فقد نصح ستراتفورد السلطان مجدداً بعدم القيام بأي رد فعل باعتبار أن قواته غير كافية للقتال وأن التحالف مع بريطانيا لا يزال بعيد المنال وذلك في محاولة منه لإجراء المزيد من المفاوضات السلمية⁽¹⁹⁾.

استجابت الدولة العثمانية بعد لأراء سفراء الدول الأوروبية بعد استشارتهم بالأمر، لذلك قامت بالاحتجاج دون المقاومة، واكتفوا بإرسال الرسائل إلى حكومة بريطانيا شارحين لها موقفهم من هذا الاعتداء مطالبين في الوقت نفسه حكومة بريطانيا بتوضيح موقفها من هذا الأمر مؤكداً رفضهم منح فرمان لروسيا، لحماية الأرثوذكس داخل الدولة العثمانية⁽²⁰⁾.

كان رد الفعل الروسي على تلك التحركات السياسية أن عرضت على الدولة العثمانية عقد معاهدة ثنائية تتضمن:-

1. سحب جميع الامتيازات الممنوحة لرجال الدين الكاثوليك في فلسطين وإعطاءها للأرثوذكس.
 2. الاعتراف بحق روسيا في حماية الرعايا العثمانيين الأرثوذكس.
 3. عقد تحالف عسكري دفاعي بين البلدين.
- كان واضحاً لبريطانيا والدولة العثمانية أن روسيا تختلق الحجج لإعلان حربها وأكد تلك القناعات وزير الخارجية الروسي نسلرود بقوله "أن (50) مليون مسيحي لا يكثرثون بمصير (12) مليون أرثوذكسي تحت حكم السلطان"⁽²¹⁾.
- وهذا ما كان يدركه بالمرستون تماماً والذي قال في رسالته إلى (جون رسل) John Russell⁽²²⁾ في 7 تموز أنه يحاول حث أبردين مرة أخرى على إرسال الأسطول البريطاني إلى البسفور لكن الحكومة البريطانية كانت لا تزال تعتقد أن من شأن ذلك تصعيد الموقف، كما يُعدّ خرقاً لاتفاقية المضائق 1841، لذلك فقد رفضت الحكومة هذا المقترح؛ لأن أبردين كان من دعاة الصلح مع روسيا على عكس بالمرستون الذي كان يريد الوقوف بوجه روسيا حتى لو استوجب ذلك استخدام القوة العسكرية⁽²³⁾ وفي رسالة من بالمرستون إلى رسل في 12 تموز 1853 قال فيها: "إن إرسال الأسطول إلى البسفور من شأنه أن يعلم الروس أن بريطانيا أخذت موقفاً لها داخل الدولة العثمانية"⁽²⁴⁾ وكان بالمرستون يعبر عن عقيدة سياسية تجاه الدولة العثمانية عندما أعلن عام 1839: ((أن كل الذي نسمع عنه يومياً من انحلال الإمبراطورية التركية، كونها جسماً ميتاً أو جذعاً يابساً أو ما شابه ذلك إنما هو هراء أكيد))⁽²⁵⁾ ولكن ستراتفورد لم يدعم مثل ذلك الموقف حينما أراد أن يبقى الأسطول راسياً في بيسكاييه⁽²⁶⁾.
- مؤتمر فيينا 24 تموز 1853:**
- بذلت النمسا جهوداً دبلوماسية لحل الأزمة القائمة بين روسيا والدولة العثمانية ولاقت خططها دعماً من ستراتفورد⁽²⁷⁾ قام الكونت بول وزير خارجية النمسا بدعوة بريطانيا وفرنسا وروسيا لعقد مؤتمر في فيينا لحل الأزمة القائمة بين روسيا والدولة العثمانية ولقد استجابت الدول الكبرى لهذه الدعوة رغم تدهور الأوضاع تحوّل الرغبة في إيجاد تسوية وبذلك انعقد المؤتمر في فيينا في 24 تموز 1853 بمشاركة مندوبي تلك الدول وعدم حضور ممثل عن الحكومة العثمانية⁽²⁸⁾ رأت بريطانيا أثناء انعقاد المؤتمر تقديم النصح مجدداً للباب العالي بعدم إعلان الحرب وإجبار روسيا على التوقيع على القرارات التي ستضعها هذه الدول لتسوية النزاع بشكل رسمي⁽²⁹⁾.
- بعد مناقشة مجموعة من المقترحات التي قدمت من قبل مندوبي الدول صدر في نهاية المؤتمر يوم 28 تموز 1853 ما يعرف بمذكرة فيينا والتي تتضمن:-

1- اقتراح الدول على السلطان القيام بأخذ الحقوق الواردة في معاهدة كوجك كينارجي 1774 وأدرنه 1829 وفرمان عام 1852 بعين الاعتبار وذلك فيما يتعلق بالحقوق الممنوحة للكنيسة الأرثوذكسية في فلسطين.

2- أن يتمتع الأرثوذكس بكل الحقوق التي تتمتع بها الطوائف المسيحية الأخرى.

3- أن لا يحدث أي تغير في الوضع القائم بشأن رعاية الدولة العثمانية المسيحيين دون الاتفاق مع حكومتي روسيا وفرنسا⁽³⁰⁾.

طالبت القوى الموقعة على مسودة مذكرة فيينا بالانسحاب الفوري لروسيا من ما وراء نهر الدانوب، أما الكونت بول وزير خارجية النمسا الذي ترأس مؤتمر فيينا فقد قام برفض التحذيرات الروسية المهددة باجتياح الأراضي العثمانية في 1 آب 1853 مؤكداً أن تلك الدول ترفض الإنذار في الوقت نفسه حث السلطان على قبول مذكرة فيينا⁽³¹⁾ التي وافقت روسيا عليها يوم 5 آب 1853 في حين أعلنت الدولة العثمانية رفضها لها وأن لديها من الأسباب ما يبرر رفضها، لما فيها من مساس بسيادة الدولة العثمانية فقد وضعت باتفاق الدول الأربع من دون استشارة الدولة العثمانية في نصوصها الأمر الذي يعني عدم اعتراف الدول باستقلالية الدولة العثمانية⁽³²⁾، فضلاً عن ذلك أن المذكرة أرسلت إلى سان بطرسبورغ قبل استانبول مع أنها يجب أن ترسل من الباب العالي إلى روسيا ورغم ذلك أبدى الباب العالي استعداده لتقديم التنازلات⁽³³⁾. قام المجلس العثماني بالانعقاد بشكل متوالي من يوم 14 آب 1853 إلى 30 منه وطالبوا بتعديل مذكرة فيينا، وقاموا بوضع التعديلات، إذ أصبح واضحاً أن الامتيازات الخاصة بالأرثوذكس داخل الدولة العثمانية ستكون نابذة وصادرة عن إرادة السلطان لا لرغبة روسيا⁽³⁴⁾، وقام رشيد باشا وزير الخارجية العثماني على الأثر بإرسال مذكرة إلى ممثلي الدول يخبرهم بشأن التعديلات العثمانية المطلوبة، وقامت النمسا وبروسيا بحث روسيا على قبول تلك التعديلات لكن القيصر رفض التعديلات أو أي تعديل آخر على المذكرة الأصلية والتي كان بإمكانه تأويلها حسب رغبته⁽³⁵⁾ وكان أغلب الوزراء داخل الدولة العثمانية يرجعون للتشاور مع ستراتفورد، لذلك فقد اتهم الأخير بتحريضهم ضد روسيا ويعتقد بأن الدولة العثمانية قد بنت رفضها على موقف السفير ستراتفورد بينما كان لحكومة لندن موقف آخر⁽³⁶⁾ كان فهم الروس أن مذكرة فيينا قد أعطتهم حق حماية الأرثوذكس في الدولة العثمانية رغم نشر هذا التصور في بعض الصحف الروسية الأمر الذي أثار حفيظة بريطانيا وفرنسا وبدأ يدفعون الدولة العثمانية من جديد برفض مذكرة فيينا خاصة بعد أن عبر الروس أن فهم المذكرة يعتمد على أساس المادة السابعة من معاهدة كوجك كينارجي⁽³⁷⁾.

أيدت بريطانيا وفرنسا الموقف العثماني الراض لمذكرة فيينا رغم مما أثاره ذلك من ردود أفعال في القارة الأوروبية⁽³⁸⁾ شككت فرنسا في نوايا ستراتفورد وتوجهاته بشأن الأزمة وعبر دي

لاكور سفيرها في استانبول عن رأيه المتمثل بأن ستراتفورد يستخدم لغة عنيفة من أجل عدم الموافقة على مذكرة فينا وقد أكد هذا التوجه وزير خارجية فرنسا لدى لقائه السفير البريطاني في باريس بأن سفيرهم في استانبول يلعب دوراً مزدوجاً في تحريض الحكومة العثمانية بعدم الموافقة على مذكرة فينا⁽³⁹⁾ وقد يكون هذا سبباً لاتهام حكومة لندن له بأنه بارع في إدارته للأوضاع في استانبول ودعمه للدولة العثمانية في رفض مذكرة فينا والمطالب الروسية، أما كلارندون فقد وصلته الأنباء عن رفض الأتراك مذكرة فينا في 25 آب فقال: "أن هذه الأخبار قد عززت وحققت مخاوفه من أن تسوية المشكلة سوف تكون تركية أكثر منها روسية"⁽⁴⁰⁾ وظل كلارندون على وفاق تام مع اللورد أبردين الذي لم يكن راغباً في التصعيد سوى محاولة الطلب من الأسطول التوجه إلى الدردنيل دون انتظار قرار ستراتفورد الذي كان حتى ذلك الوقت متردداً في هذه المسألة⁽⁴¹⁾.

لاسيما وأن مشاعر الرأي العام في بريطانيا كانت يغلي بشدة بسبب الأخبار المتواترة عن تقدم الروس في الأراضي العثمانية الأمر الذي فسر على أن هذا الأمر موجه بقوة ضد أبردين وهدوئه في التصرف حيال المشكلة⁽⁴²⁾.

رفضت حكومة روسيا التعديلات العثمانية على مذكرة فينا في 17 أيلول 1853 باعتبارها أعطت لروسيا حق التدخل في الدولة العثمانية لصالح الأرثوذكس وكان الاعتقاد السائد لدى حكومة بريطانيا يكمن في إلزام العثمانيين على قبول المذكرة، حتى وصل بها الأمر إلى التفكير في استدعاء سفيرها في استانبول ستراتفورد في حالة فشله، لكن بعد تسلم وزير خارجيتها النسخة الأصلية لمذكرة فينا من السفير الروسي، تراجعت بريطانيا عن موقفها كله بل وأعلنت تخليها عن مذكرة 17 أيلول لأنها أرادت الوقوف بقوة لايقاف التغلغل الروسي في الدولة العثمانية⁽⁴³⁾ وبالتالي توقف ضغطها على الباب العالي لاسيما وأنه لاح في الأفق خطر قيام تمرد على السلطان داخل استانبول في تصاعد الشعور المعادي لروسيا⁽⁴⁴⁾، أما بالمرستون فقد وصف المسألة في 21 أيلول 1853 بين روسيا والدولة العثمانية بأنها غير مرضية، مؤكداً أن روسيا دولة ليس لها موثيق معرباً في الوقت نفسه عن أمله بأن تبدي بريطانيا صداقتها لروسيا إذا ما رغبت في إيجاد حلول للمسألة؛ اعتقاداً منه بأن ذلك سيكون لمصلحة الدولتين ولمصلحة أوروبا عامة⁽⁴⁵⁾ إلا أن هذا لم يمنع بالمرستون من الدخول في صداقة مبكرة مع الامبراطور الفرنسي نابليون الثالث 1848-1870 والذي كان بدوره قد أبدى تفهماً لبالمرستون وأفكاره⁽⁴⁶⁾ في حين قام ولوسكي⁽⁴⁷⁾ السفير الفرنسي في لندن باطلاع كلارندون وأبردين في 22 أيلول 1853 عن بوارد ثورة في استانبول وعبر عن رأيه الخاص بضرورة إعادة الأسطول إلى استانبول باعتبار ذلك ضرورة لا غنى عنها⁽⁴⁸⁾.

أصبح صراع أبردين رئيس الوزراء البريطاني من أجل السلام يذهب بعيداً بعد تصاعد شعور الرغبة بالحرب في بريطانيا مما اضطره للإعلان عن أنه لا يوجد لديه الوقت الكافي لمعارضة مرور أسطول بريطانيا وفرنسا في المضائق لحماية السلطان من أي تصعيد ممكن من قبل الشعب الذي يخشى قيامه بالثورة، لكن أبردين كان يتمهل ما لم تقتحم روسيا المضائق، كما أنه لا يرغب في فعل شيء يقلق الموقف العسكري آنذاك لاعتقاده بأن الدولة العثمانية لن تعمر طويلاً وبما أن المسألة ذاتها بين مد وجزر فإن بريطانيا وروسيا قد تتوصلان إلى بعض التفاهات مثل تقسيم الدولة العثمانية⁽⁴⁹⁾. وفي ذلك الوقت أوصى نابليون الثالث 1848- 1870 بتحريك أسطوله إلى استانبول بذريعة حماية الأجانب، ولما كان كلارندون أكثر جدية من أبردين في هذه المسألة فقد اتخذ نفس التوجه وأرسل بتعليماته بشأن إرسال الأسطول من بيسكايية إلى استانبول وأرسل بهذا الأمر إلى ممثلي بريطانيا وفرنسا في استانبول⁽⁵⁰⁾، وكان الهدف المعلن لتبرير ذلك هو التذرع بحماية الأوروبيين والأجانب وعند الضرورة حماية السلطان دون الادعاء بأن هذا الموقف هو عمل عدائي ضد روسيا⁽⁵¹⁾.

كتب أبردين في 23 أيلول 1853 يبرر طلب إرسال الأسطول إلى استانبول والذي اعتبره بسبب الردود العنيفة والتأويلات الروسية بسبب مذكرة فيينا، في حين كانت حمى الحرب في استانبول تبلغ أوجها، إذ طالب الرأي العام بإعلان الحرب على روسيا، وهو ما لمس ستراتفورد عندما كان يخبر حكومته في منتصف أيلول 1853: بأن الوزراء في الباب العالي يُعدون أنفسهم لإعلان الحرب، وإن السلطان لا يستطيع تجاهل ثورة الرأي العام⁽⁵²⁾.

سياسة التهدة:

اتفقت روسيا والنمسا في 24 أيلول 1853 على إحياء مذكرة فيينا مرة أخرى وتقديمها للباب العالي مصحوبة بإعلان روسي مكتوب يؤكد عدم رغبة روسيا بالتدخل في الشؤون الداخلية للدولة العثمانية⁽⁵³⁾، ولأجل تحقيق تلك الغاية وصل القيصر الروسي إلى أولمتر في بوهيميا، واجتمع مع رئيس الوزراء النمساوي فرانسيس جوزيف لحل المشكلة المتعلقة بالدولة العثمانية ومسألة استدعاء الأسطول البريطاني والفرنسي، لكن القيصر لم يكن حكيماً بالقدر الكافي عندما تحدث عن تحطيم الدولة العثمانية⁽⁵⁴⁾.

وأمام عدم ميل الملكة فكتوريا⁽⁵⁵⁾ 1837-1901 للحرب تماماً فقد عمل القيصر الروسي على استمالتها، إذ أرسل إليها يعرب عن دهشته من إمكانية مشاركة بريطانيا مع الدولة العثمانية في أي حرب متوقعة، لكن الملكة التي عبرت عن اعتقادها بعدم وجود خلاف جوهري بين البلدين لم تستطع أن تقر وتوافق على تأويل القيصر لمعاهدة كوجك كينارجي 1774 وعلى احتلال الإمارات الدانوبيتين، وهكذا أغلقت الأبواب في وجه القيصر من كل اتجاه وفي

25 أيلول 1853 أعربت الملكة في رسالتها إلى أبردين رئيس وزرائها أنها ستكون مبهجة؛ لأن الأسطول في طريقه إلى استانبول⁽⁵⁶⁾.

كان المجلس الأعلى العثماني في حالة انعقاد مستمر، فضلاً عن ذلك قيام علماء الدين في 26 أيلول 1853 بالمطالبة بإعلان الجهاد الأمر الذي يتطلب فتوى من شيخ الإسلام كأمر ديني ووطني وهذا ما أعطى الصراع طابعاً دينياً⁽⁵⁷⁾ وهكذا قام شيخ الإسلام بإصدار فتوى دينية بذلك الشأن، مما دفع ستراتفورد للقيام بجهود حثيثة لدى السلطان من أجل إبطال مفعول وتأثير تلك الفتوى وذلك في محاولة منه لاحتواء الموقف⁽⁵⁸⁾.

قام جون رسل في 30 أيلول بتقديم مذكرة إلى حكومته لمناقشة إرسال الأسطول وانتفقوا بانتظار قبول القيصر الروسي التعديلات العثمانية على مذكرة فينا، والتي كان يتم أحيائها بين الفينة والأخرى⁽⁵⁹⁾، وفي اليوم نفسه أرسل كلارندون برسالة إلى هاملتون سيمور السفير البريطاني في بطرسبورغ تضمنت عرضاً لتطورات الأزمة وتشهير بالمحاولات الروسية لغرض الحماية على الأرثوذكس داخل الدولة العثمانية، ومن ثم أظهر تحرك الأسطول البريطاني على اعتبار أنه يدافع عن الدولة العثمانية من العدوان الروسي مؤكداً أنه من حق الدولة العثمانية رفض المقترحات الروسية واختتم كلارندون رسالته بأن بلاده أجبرت على الاعتراف بعدم إمكانية تحقيق كل المطالب الروسية وبالتالي ألتمس العذر للباب العالي في شكوكه ومخاوفه وأنه من الضروري الإسراع لمساندته حتى لا تكون الخلافات بين الدولتين في المستقبل مصدراً للقلق في أوروبا، وحتى لا يتم تعريض السلم الأوربي للخطر⁽⁶⁰⁾.

بدأ السفير البريطاني في استانبول ستراتفورد يعتقد أنه من الضروري مواجهة روسيا عسكرياً بشكل ما؛ وذلك لإجبارها على التنازل عن إدعاءاتها، لكنه أراد أن ينتظر نتيجة المفاوضات الهادفة لتحقيق السلام ومنها المحاولات النمساوية في منطقة أولمتر والتي تمخض عنها التوصل لمذكرة بين روسيا والنمسا عرفت بمذكرة أولمتر والتي رفضت فيما بعد من قبل كلارندون وبعض أعضاء حكومة بريطانيا بشكل قطعي لذلك انعقاد مجلس الوزراء لتأكيد ذلك الرفض⁽⁶¹⁾.

أما بالمرستون فلم يكن يشعر بالعداء للنمسا ولكنه كان يرتاب منها بشكل كبير لاعتقاده بأن القيصر الروسي نيقولا الأول كان سيقترح على النمسا تقسيم الدولة العثمانية، وفي الوقت نفسه كان ستراتفورد لا يزال يحاول مع الأتراك عدم دخول حرب مع روسيا في محاولة منه لتجديد المفاوضات وحل الخلافات لذلك جاء طلب كلارندون إلى ستراتفورد في 4 تشرين الأول 1853 والخاص باستدعاء الأسطول من الدردنيل إلى استانبول وكانت تلك رغبة جميع السياسيين في بريطانيا⁽⁶²⁾ وبالفعل تم استدعاء الأسطول مما عُدَّ مؤشراً من قبل الباب العالي للشروع في الاستعدادات اللازمة لخوض الحرب في حين كان الشعور الوطني داخل الدولة

العثمانية قد بلغ ذروته في شهر رمضان وكانت المشاعر الدينية تلهب ضد روسيا وكانت الدلائل تشير إلى أن السلطان عبد المجيد كان قد شجعه ستراتفورد لاعتقاده بأن فرنسا وبريطانيا تستعدان لإعلان الحرب على روسيا، سوكتب أبردين في 2 تشرين الأول 1853 لممثل النمسا بأن الرأي العام البريطاني لن يسمح لحكومته بالتخلي عن الدولة العثمانية والتي يقع على بريطانيا حمايتها⁽⁶³⁾.

بريطانيا وإعلان الدولة العثمانية الحرب على روسيا:

تقدمت الدولة العثمانية في بداية تشرين الأول عام 1853 بالطلب من روسيا سحب جيوشها من الإمارات في الدانوب خلال أيام وإلا ستكون مضطرة لإعلان الحرب ضدها، لكن احتقان الشارع العثماني وموافقة المجلس الأعلى على الحرب وصدور فتوى شيخ الإسلام أجبرت السلطان على سرعة إعلان الحرب رسمياً في 4 تشرين الأول 1853 على روسيا⁽⁶⁴⁾، علماً أن السياسة البريطانية منذ تشرين الأول 1853 أصبحت أسيرة الأحداث والتطورات التي لم تستطيع الحكومة السيطرة عليها، ومع تزايد الاختلافات بين الوزراء شلت قدرة الحكومة على التحرك في الاتجاه الذي يبعدها عن الحرب، وبدأ أن ما يدير الموقف في مجلس الوزراء الكتلة المؤيدة للحرب ضد روسيا، وفي الوقت نفسه أعلن جون رسل أنه إذا لم تقم روسيا بتنفيذ الإنذار العثماني، كان أقل ما تقوم به بريطانيا وفرنسا هو تقديم الدعم المادي للعثمانيين وتطهير البحر الأسود من السفن الروسية.

وهنا لابد أن نفهم ما هو تأثير هذا الدعم على مصالحها الحيوية في الشرق أو يجب علينا دخول الحرب ليس من أجل السلطان، ولكن من أجل الاهتمام الذي أبداه الرأي العام الأوربي بالدولة العثمانية⁽⁶⁵⁾ عقدت الحكومة البريطانية في 7 تشرين الأول اجتماعاً وهو الأول الذي يعقد منذ العطلة التي تمتع بها البرلمان قبل أكثر من سبعة أسابيع وتمت مناقشة المقترح الفرنسي الذي يتضمن إرسال الأساطيل المشتركة إلى البحر الأسود وبالفعل تم إرسال الأسطول إلى استانبول مباشرة⁽⁶⁶⁾، ثم اقترح بالمرستون على مجلس الوزراء الموافقة على إرسال أوامر إلى الأساطيل البحرية باحتجاز كل السفن الروسية التي تجوب البحر الأسود وتسخير كل إمكانيات بريطانيا في دعم الموقف العثماني، وكذلك إبرام اتفاقية بحرية مع العثمانيين تتضمن بنود لتحديد علاقتها مع الروس⁽⁶⁷⁾.

ساند جون رسل ذلك المقترح بينما وقف كل من أبردين وكلاستون⁽⁶⁸⁾ بقوة ضد التصعيد الخطير الذي أعده كلاستون⁽⁶⁹⁾ بأنه يهدف إلى إعلان الحرب ضد روسيا وبعد سجلات من المناقشات داخل البرلمان بين بالمرستون ورسل وكلاستون توجه مجلس الوزراء مع آراء

بالممرستون وتمكن من التوصل إلى صيغة توفيقية تضمنت أن يقتصر وجود الأسطول في استانبول فقط للعمليات الدفاعية⁽⁷⁰⁾.

قام رئيس الوزراء ابردين بما يستطيع فعله لإيقاف التحشيد نحو الحرب لكنه بدا متردداً نحو الحرب والرغبة في الحفاظ على السلام والخوف من تفاقم الرأي العام والصحافة ومن أن تسيطر روسيا على استانبول والمضائق وقد ساهمت هذه السياسة من إحداث ضرر كبير في مكانته، مما مكن بالممرستون ومجموعته المؤيدة للحرب من السيطرة على مجلس الوزراء فيما بعد⁽⁷¹⁾، ومما يؤيد ذلك أنه في الاجتماع نفسه لمجلس الوزراء قد أضعاف فرصة ذهبية لتحقيق السلام بين الأطراف المتنازعة وذلك من خلال فشله في إقرار مقترحات أولمتر⁽⁷²⁾، إذ قام رشيد باشا في 8 تشرين الأول 1853 بالطلب شخصياً من السلطان أن تدخل الأساطيل البريطانية والفرنسية الدردنيل وأن تمتلك بريطانيا قوات لها في البسفور الذي يُعدّ مفتاح البحر المتوسط بحيث يمكن لبريطانيا عند الضرورة منع تهديد مصالحها في الدولة العثمانية بالقوة العسكرية⁽⁷³⁾ لكن ستراتفورد كان متردداً في ذلك كي لا يفهم الأمر بأنه خرق لاتفاقية المضائق عام 1841 لكن الأمور تطورت، إذ زاد خطر روسيا على الدولة العثمانية مما حدى بالدولة العثمانية ممثلة بالسلطان إلى طلب حضور الأسطول رسمياً والذي كان يعني الدخول في حرب ضد روسيا⁽⁷⁴⁾.

خاطب وزير الخارجية كلارندون سفير بريطانيا في استانبول ستراتفورد بشكل شخصي بأن الحكومة ستكون سعيدة عندما يكون الأسطول في استانبول وأن ذلك العمل هو لمساعدة الأتراك ضد أي عدوان افتراضي ضد الدولة العثمانية⁽⁷⁵⁾، أما الملكة فقد عبرت في 11 تشرين الأول 1853 عن موقفها الخاص بضرورة الدفاع عن الأراضي العثمانية والمناداة باستقلال وتكامل أراضي الدولة العثمانية⁽⁷⁶⁾ مما دفع ستراتفورد إلى دعوة الأسطول البريطاني وسفینتان من الأسطول الفرنسي دخلت الدردنيل يوم 21-22 تشرين الأول تحت ذريعة حماية السلطان وأرواح الأجانب من بواذر ثورة قد تنشب في المنطقة⁽⁷⁷⁾ ويفهم سبب إذعان الحكومة البريطانية لموقف ستراتفورد اعطي صلاحية استدعاء الأسطول على الرغم من كونه مجرد سفير يتلقى أوامره من قبل وزارة الخارجية، ويمكن إرجاع هذا الأمر لسببين هما:

1- قوة نفوذ وتأثير ستراتفورد ليس فقط داخل الدولة العثمانية بل وعلى وزارة الخارجية والحكومة البريطانية بشكل عام.

2- إن ستراتفورد قد أعطي تفويضاً كاملاً ويحق له استدعاء الأسطول دون غيره وإعادة الأمور في النهاية إلى تقييمه الشخصي للأوضاع من خلال رؤيته للأحداث.

وبالرغم من وصول الأسطول البريطاني والفرنسي لاستانبول وشكر السلطان لهم على ذلك على الرغم من عدم وجود أي اتفاقيات للدفاع أو للتحالف بين بريطانيا والدولة العثمانية في الوقت الذي كان الشعب داخل الدولة العثمانية يعتقد بأن القطعات البحرية إنما هي قوات

مستأجرة من قبل السلطان للدفاع عن الدولة العثمانية رفض القيصر الروسي دخول الاسطولين البريطاني والفرنسي الدردنيل⁽⁷⁸⁾.

أما النمسا وبروسيا فبالرغم من أنهما شاركتا في اتفاقية المضائق لعام 1841، إلا إنهما لم يكن لهما مشاكل مع الدول البحرية ولاسيما بريطانيا، في حين بلغت الأزمة ذروتها في لندن في الأسبوع الثالث من شهر تشرين الأول 1853، إذ كان لا يزال هناك خلاف ونزاع بين أعضاء مجلس الوزراء في الخطوات التي يجب اتخاذها في هذه الحرب للحفاظ على المصالح البريطانية فكان بالمرستون يرغب في قيام بريطانيا برعاية مصالحها في الدولة العثمانية، في حين كان أبردين لا يزال يقترح خطة للسلام في محاولة منه لإدخال ومشاركة أكبر عدد ممكن من الدول الأوروبية في حلّ المشكلة⁽⁷⁹⁾، لم يكن دخول الأساطيل الدردنيل يعني انتهاء مفاوضات السلام الجارية بين روسيا وكل من الدولة العثمانية وأوروبا، ففي هذه المرحلة عمل ستراتفورد على إحياء مبادرات السلام واتصل في سبيل ذلك بلندن وفيينا في نهاية تشرين الأول، إذ قدّم مذكرة جديدة معتقداً أن الدولة العثمانية ستقبلها لكنها رفضت من قبل السلطان العثماني رغم أنها قبلت من لندن وباريس⁽⁸⁰⁾.

تصاعدت الأحداث وأُنذرت بالحرب بعد التصعيد الخطير الذي شهدته العاصمة البريطانية من خلال رفض كل المقترحات التي تؤدي إلى السلام، ولاسيما مقترحات اولمتر كما أن الشكوك حول نوايا روسيا قد أثرت على رجال الدولة في بريطانيا ويبدو أنهم وصلوا إلى نقطة لا يمكن العودة عنها، وفي حقيقة الأمر أنه لم يظهر أي شخص يعمل من أجل السلام أكثر من ردكليف فقد حاول يقنع السلطان بتأجيل إعلان الحرب وحتى بعد إعلان الحرب حاول منع وقوع أعمال عدوانية من جانب العثمانيين⁽⁸¹⁾. وقد نجح ردكليف في إقناع رشيد باشا بأن يأمر عمر باشا قائد القوات العثمانية بأن لا يبدأ الأعمال الحربية قبل الثالث والعشرين من تشرين الأول، وكان لا يزال يأمل أن يقبل العثمانيون مقترحات معدلة كما طالبوا ويدعمها إعلان من القوات العظمى بضمأن أن لا تطلب روسيا تنازلات جديدة، وإن الباب العالي سينفذ بالمقابل كل الالتزامات التي عليه لهذا السبب آخر بقدر ما يستطيع مرور الفرقة البريطانية خلال الدردنيل إلى استانبول⁽⁸²⁾، ثم قدم ردكليف مقترحاً جديداً مبنياً على القناعة أعلاه يجري فيها تعديل قرارات مؤتمر فيينا بطريقة توازي المقترحات العثمانية ومع وصول مقترح ردكليف إلى لندن قدم كلارندون مسودة قرار إلى المقترح وقد وافق مجلس الوزراء البريطاني على ما أعده كلارندون لكن طول المناقشات أخر إصدار قرار بهذا الشأن وهذا التأخير دفع أبردين أن يلحق بمقترح السلام الجديد شرطاً مضمونه أنه لن تسمح القوى الأربعة لنفسها نتيجة الاعتراضات أو بسبب إعلان الحرب إذ نوه بالانجرار نحو سياسة لا تتماشى مع السلام في أوروبا وكذلك مع مصالح الدولة العثمانية نفسها وحصل هذا المقترح على تأييد كلادستون إلا أن بالمرستون وجون رسل قاوما ذلك بقوة مما دفع

أبردين التخلي عن مقترحه وكانت تلك مرحلة أخرى في تضائل نفوذ أبردين السياسي في الحكومة التي يترأسها⁽⁸³⁾.

بدأت الأعمال الحربية العثمانية بواسطة هجوم قائد القوات العثمانية عمر باشا على الروس في منطقة تتراخان في 23 تشرين الأول 1853 وبذلك قضى على آخر فرصة للحيلولة دون وقوع الحرب وهكذا بدأت حرب القرم بشكل فعلي وعملي بعد أن كانت من طرف واحد⁽⁸⁴⁾، أكد بالمرستون في ظل ذلك التصعيد بين الطرفين إن الحل يكمن في تراجع روسيا عن عدوانها تجاه الدولة العثمانية من خلال الانسحاب من المقاطعات التي احتلتها واعتبر أن الحفاظ على سلامة الدولة العثمانية هو أكثر أهمية من عملية السلام نفسها وقد أيد رسلاً في ذلك بوجوب الدخول إلى البحر الأسود ليتأكد الروس من جدية الموقف البريطاني في الدفاع عن الدولة العثمانية وضمان وحدتها واستقلالها⁽⁸⁵⁾ ثم قام ستراتفورد بتقديم اقتراح إلى رشيد باشا يتضمن توقيع مذكرة لتحالف تضمن تحرك الأسطول البريطاني في المياه العثمانية ولم يلبث ستراتفورد أن أظهر بوضوح رغبته بالحرب في بداية تشرين الأول 1853، إذ أصبحت المسألة جدية وهو ما دعى الملكة فكتوريا إلى وضع بعض المراقبة عليه⁽⁸⁶⁾ مما دفع كلارندون القيام بإقالته لاعتقاده بأنه هو الذي خلق الوضع المتأزم الذي وصلت إليه الأمور لكن كلارندون وضع تحت تأثير الرأي العام البريطاني ومعارضة العديد من الوزراء داخل الحكومة وعلى رأسهم أبردين لأسباب عديدة منها تفاقم الأوضاع⁽⁸⁷⁾ وقد كتب ستراتفورد في 30 تشرين الأول 1853: "أنا سعيد أن أساطيلنا أبحرت إلى البسفور وسأكون مسرور بالقدر نفسه لسماع أنها أخذت تجول البحر الأسود للوقوف بوجه الروس"⁽⁸⁸⁾ أما كلارندون فقد أراد تحريك الأسطول إلى استانبول القيام بعمل معاد للروس وقصد أن يكون كذلك بأنه لم يكن يعتبر ذلك عملاً حربياً ضدها⁽⁸⁹⁾ ولقد وصلت الأساطيل إلى البسفور ورسست أمام استانبول في 15 كانون الأول 1853 مما دفع روسيا للتعهد من جديد لبريطانيا وفرنسا بعدم القيام بأعمال عدوانية في البحر الأسود طالما أن أسطولهما لن يدخله⁽⁹⁰⁾ وفي اليوم نفسه وصل السفير الفرنسي إلى استانبول وهو رجل عسكري يحمل رتبة جنرال وكان تعيينه في ذلك الوقت يحمل في طياته نوايا غير سلمية. ومهما يكن من أمر فإنه وحتى ذلك الوقت لم يكن هناك دلائل في مجلس الوزراء البريطاني بمن فيهم بالمرستون⁽⁹¹⁾. على أنهم كانوا مدركين لغليان الرأي العام والشعور الوطني داخل الدولة العثمانية وقد يكون أبردين قد أشار إلى ذلك في السابق عندما قال: "أن الأتراك يساؤون بريطانيا في الضرر، وأن بريطانيا ملتزمة في الدفاع عنهم إذا بدأ القتال"⁽⁹²⁾.

مذبحة سينوب

قام الأسطول العثماني في 27 كانون الأول 1853 بالإبحار إلى باطوم ومنها إلى سينوب مما دفع ستراتفورد إلى مطالبة الدولة العثمانية بمنع الأسطول من مواصلة إبحاره إلى باطوم، مطالباً إياها بإعادة النظر في هذا الأمر كونه عملاً خطيراً⁽⁹³⁾ وفي 29 كانون الأول أرسل وزير الخارجية الروسي نسلرود إلى الدول العظمى عبر سفير فرنسا في بطرسبورغ (كستلجاي) برسالة عبر فيها عن استعداد بلاده للموافقة على تدخل حكومات بريطانيا وفرنسا وبروسيا والنمسا من جديد لحل المشكلة وهو ما قبله الباب العالي⁽⁹⁴⁾ في حين كانت الجيوش العثمانية تحقق الانتصارات العديدة على الروس أجبرتهم على الانسحاب من العديد من المناطق أو أوقفت تقدمهم فيها الأمر الذي أزعج القيصر⁽⁹⁵⁾، مما دفع الأسطول الروسي في 30 كانون الأول تحت قيادة (ناخيموف) للقيام برد فعل انتقامي في البحر الأسود ضد الأسطول العثماني، إذ قام بهجوم مباغت عليهم في سينوب⁽⁹⁶⁾ الأمر الذي كانت نتيجته تدمير الأسطول العثماني بشكل تام وقتل بين ثلاثة إلى أربعة آلاف من الجنود العثمانيين غرقاً في المياه⁽⁹⁷⁾ وأسر قائد الأسطول عثمان باشا ومعه 297 من الأسرى معظمهم من التجار ومن ضمنهم ثلاثة من المهندسين وخمسة من الضباط البريطانيين تم نقلهم فيما بعد إلى سيباستول، كما قام الأسطول الروسي المنتصر بضرب أحياء المسلمين في سينوب وأحرقت آلاف البيوت الأمر الذي تمخض عنه تخريب شديد في الأملاك وهرب الأهالي إلى المناطق الآمنة، ونظراً لعظم تلك الكارثة فقد وصفها البريطانيون بمذبحة سينوب⁽⁹⁸⁾.

كان القيصر مبتهجاً كثيراً بذلك النصر معتقداً ان روسيا بحاجة إلى هذا النصر بعد اليأس والضغط التي لازمتهم في بداية الشتاء، ولقد نشر القيصر رسالة عبر فيها عن سعادته بهذه المذبحة معبراً عن رضاه عما حققته قواته في هذه الموقعة التي لا تنسى في تاريخ البحرية الروسية⁽⁹⁹⁾.

أثارت المذبحة في بريطانيا موجة عارمة من السخط ضد روسيا⁽¹⁰⁰⁾، إذ أتهم كلارندون روسيا بالبربرية، ومن وجهة نظره فإن بريطانيا أعطت ضمانات للسلطان بحماية أراضيها ضد الهجوم الروسي، لكنه عبر في الوقت نفسه عن رغبته بالآلا تكون هناك أعمال تقتل محادثات القوى الأوروبية بشأن مؤتمر فيينا⁽¹⁰¹⁾، في حين اشتكى ستراتفورد إلى حكومته من ظلم الروس بهجومهم على سفن العثمانيين في سينوب⁽¹⁰²⁾، ثم أرسلت مقترحات الحكومة الفرنسية والبريطانية إلى فيينا واجتمع سفراء الدول الأربع (بريطانيا وفرنسا والنمسا وبروسيا) وتم صياغة بروتكول وقعه ممثلو الدول الأربع، ولكنه ولد ميتاً بسبب موقعة سينوب البحرية في 30 تشرين الثاني 1853⁽¹⁰³⁾، والتي تُعدّ حدثاً طبيعياً بين بلدين متحاربين ولكن نتائجها كانت وخيمة وكارثية إذ تحولت من حرب روسية عثمانية إلى حرب أوروبية وزادت الأنباء التي وصلت العاصمة البريطانية عن هذه المعركة الاستياء الموجود بين الأوساط الشعبية والسياسية بشكل

كبير وقد كان هذا الخبر كوقع الصاعقة في بريطانيا⁽¹⁰⁴⁾ وكان كلارندون قبل وصول أنباء المعركة إلى لندن قد أبلغ سيمور بأنه يقوم بإخبار الحكومة الروسية بصورة غير رسمية بأنه في حال عَبرت القوات الروسية الدانوب فإن السفن الحربية البريطانية ستعترض الرجال والمؤمن المرسله بالبحر من ميناء روسي إلى آخر⁽¹⁰⁵⁾.

كان وزير الداخلية بالمرستون حتى مذبحة سينوبلا يزال يمثل الحزب المعارض للروس داخل الحكومة في حين كان أبردين رئيس الوزراء لا يثق بالأتراك، أما وزير المالية كلادستون فقد أنكر وتصل عن دعم ومساندة الدولة العثمانية في الوقت الذي أصبحت فيه المضائق العثمانية واستانبول تحت التهديد⁽¹⁰⁶⁾، لكن الحكومة على العموم كانت قلقلة من أن يكون ما حدث مجرد خطوة في سبيل تحقيق الأمانى الروسية التي طالما دأبوا عليها لجعل البحر الأسود بحيرة روسية⁽¹⁰⁷⁾.

أما الرأي العام والصحافة فقد لعبا دوراً رئيساً في تلك المرحلة إذ ثارت مذبحة سينوب الرأي العام مجدداً مما جعل الأمور تسير في طريق واحد يحتم على بريطانيا دخول الحرب ضد روسيا وناصرت أغلب الصحف الدولة العثمانية وترعمت الدعوة للدخول في الحرب ضد روسيا بصورة جماعية حتى بعض الصحف المعتدلة مثل صحيفة مانشستر غارديان والمورنينغ وصحيفة التايمز القريبة من الحكومة دخلت أيضاً في سباق الدعوة إلى الحرب⁽¹⁰⁸⁾ وصار الاعتقاد السائد أن روسيا كدولة كبرى تعامل الدولة العثمانية بإجحاف وأصبح الشعور بضرورة الحرب قويا لدى المحافظين والأحرار على السواء لاسيما أنهم فرعو من التوسع الروسي في المناطق القريبة والمؤدية إلى طريق الهند⁽¹⁰⁹⁾ وأن الصحافة البريطانية أوقدت نار العداء الكامن في أوساط الرأي العام البريطاني الذي كان يغذيه ومنذ زمن بعيد كثير من السياسيين الذين كانوا يستشعرون الخطر الروسي على المصالح البريطانية في الشرق واستجاب عدد من الوزراء للرأي العام وأعلنوا أنهم لم يعودون يثقون بنوايا ووعود القيصر⁽¹¹⁰⁾، عززت الصحافة الشعور بالحرب لدى الأمة البريطانية وتعزيز روح الولع بالحرب وادعت أن السلام الذي حافظت عليه بريطانيا لمدة أربعين سنة الآن سينتهي⁽¹¹¹⁾.

وفي ظل هذه الظروف وبعد مذبحة سينوب حاول أبردين رئيس الحكومة التراجع في ظل غليان الرأي العام⁽¹¹²⁾، الذي عدّ ذلك بمثابة خيانة وخرقاً من روسيا لتعهداتها وعندما قام محرر صحيفة التايمز بإجراء مقابلة مع أبردين في 9 كانون الأول قام الأخير بإبداء استياءه صحيفة التايمز على الرغم من أنه أبدى اعتدالا في مواقفه تجاه المذبحة⁽¹¹³⁾ وبقي الاختلاف داخل الحكومة إذ أن أبردين وبعض مؤيديه يتقون بقوة القيصر نيقولا الأول في حين أعطى القليل من الثقة للدولة العثمانية، أما بالمرستون فلم يكن مؤمناً بالروس، مع اعتقاده بإمكانية تجديد الدولة العثمانية⁽¹¹⁴⁾ كما أن أبردين كان يرى أن المشكلة سوف تجد طريقها للحل مع الاستجابة لبعض

المطالب الروسية أما بالمرستون فقد فعل كل جهوده من أجل مساعدة الدولة العثمانية وأنه يرغب في قيام الحرب من أجلهم مع تحمل المخاطر وذلك لصيانة تكامل الدولة العثمانية وكنتيجة مباشرة لهذا الاختلاف كان هناك انقسام حول دخول الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود بعد سينوب⁽¹¹⁵⁾، إذ طالب بذلك العديد من الوزراء ورجال السياسة البريطانية إلا أن رجلاً مثل جون رسل لم يكن مستعداً للذهاب بعيداً كما فعل بالمرستون⁽¹¹⁶⁾، قام الإمبراطور الفرنسي بأنه إذا كانت بريطانيا لا تريد القيام بعمل مشترك معها في البحر الأسود فإنه سوف يقوم بذلك وحده أو أن يقوم بإعادة الأسطول إلى طولون مما دفع كلارندون للإصرار على إرسال الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود الأمر الذي قرره مجلس الوزراء في 22 كانون الأول 1853⁽¹¹⁷⁾.

بدا واضحاً أن بريطانيا وفرنسا قد عزمتا على إلزام روسيا بإخلاء أسطولها من البحر الأسود والعودة إلى ميناء سيباستول بعد أن بلغ عدد سفن التحالف (60) سفينة مسلحة بما فيها قطع من الأسطول العثماني والتي أصبحت جميعاً في البحر الأسود⁽¹¹⁸⁾، وقد أدت التطورات اللاحقة إلى انتصار رأي الجبهة المؤيدة للتصعيد ضد روسيا بقيادة بالمرستون على الجبهة المعتدلة بقيادة أبردين لكن الأمور توقفت عند هذا الحد دون المزيد من الإجراءات ضد روسيا مما دفع بالمرستون بعد تقييم موقف الحكومة إلى تقديم استقالته في 20 كانون الأول 1853⁽¹¹⁹⁾؛ وذلك لأنه رأى عدم القبول برؤية الدولة العثمانية تهزم أمام روسيا وعلى بريطانيا وفرنسا أن ترسل قواتها البحرية إلى البحر الأسود لمساعدة الدولة العثمانية.

كتب كلادستون يوم 21 كانون الأول 1853 لقد انعقد مجلس الوزراء وأجد صعوبة في النقاط الأنفاس مرة أخرى لقد أخبرت لورد أبردين إنني أتمنى من بالمرستون العودة مجدداً من أجل المسألة الشرقية، وهذا ما فعله بالمرستون الذي سرعان ما عاد في 2 كانون الثاني 1854 وبتقل أقوى من قبل⁽¹²⁰⁾.

انقسمت حكومة بريطانيا مجدداً إلى أقسام مختلفة ومتباينة في الرؤى تجاه روسيا إذ أن أبردين رئيس الحكومة كان يريد السلام بأي ثمن في حين كان كلارندون يتبنى موقفاً معتدلاً أما الاتجاه الثالث فكان يمثل سياسة بالمرستون والذين معه وهم الذين يريدون حلاً حاسماً مؤيداً للدولة العثمانية وهو بالتأكيد الذهاب إلى الحرب⁽¹²¹⁾ ودعم هذا الاتجاه بواسطة التأثير الكبير لرئيس الوزراء البريطاني السابق جون رسل، لكن أبردين لم يخف سراً بشأن كراهيته للأتراك، وشعوره بأنه مضطر للقيام بواجبه نحو سياسة دعم الدولة العثمانية⁽¹²²⁾ أما الملكة فكتوريا فلم تخف تصورها بضرورة العمل لحماية الدولة العثمانية، كما عبر كلادستون على أن الشعور العام يجمع على صداقته الحميمة للدولة العثمانية رغم ما أيداه من أسئلة عن الحرب⁽¹²³⁾.

أما ستراتفورد فكانت له نظره مختلفة جداً فهو لا يعتقد أن بريطانيا وروسيا يجب أن يدخلتا صراعاً من أجل الدولة العثمانية وأن مصالح بريطانيا سوف تكون محمية بتسوية سلمية من

خلال المفاوضات بين الدولة العثمانية وروسيا⁽¹²⁴⁾ لكن التطورات السياسية والحربية على الأرض كانت قد تجاوزت بكثير أي حلول سليمة⁽¹²⁵⁾.

قام الأسطول البريطاني والفرنسي بدخول البحر الأسود في 3 كانون الثاني 1854 وذلك وسط احتجاجات روسيا وتنديدها بتلك الخطوة⁽¹²⁶⁾ وقد أكد أبردين لكلاستون أن الأتراك سوف يسحبوننا إلى الموقف سواء كنا أكثر أم أقل إجماعاً على مساعدتهم وهذه المساعدة بلا شك تعني دخول الحرب مما سيعمل على زيادة التوتر في العديد من المناطق مثل بلاد فارس والعراق الأمر الذي دفع بالحاكم العام في الهند إلى التعبير عن رغبته في إرسال جزء من أسطول بمباي إلى الخليج العربي⁽¹²⁷⁾ ثم بذلت العديد من الخطوات لمنع قيام الحرب أو لإضافة المزيد من المبررات لقيامها حين أرسل نابليون الثالث والملكة فكتوريا عن طريق سفيرهما إنذاراً نهائياً للقيصر يدعونه لاحترام الدول العثمانية والانسحاب من المناطق التي قام باحتلالها مع ضرورة اعترافه المطلق باستقلالية السلطان في علاقاته برعاياه المسيحيين وذلك مقابل انسحاب أساطيل بريطانيا وفرنسا من البحر الأسود في حين كتب أبردين في 9 كانون الثاني 1854 يعلن رغبته في مناقشة موضوع دخوله الحرب في مجلس العموم فقال: "أريد تحقيق القانون وحل المسألة في البرلمان"⁽¹²⁸⁾.

أما سيمور فقد كان يعتقد أن روسيا تتلاعب بالوقت وإنها غير راغبة في إنهاء هذه الحالة من الحرب ولا سيما أن نسلرود لم يقدم أي إجابات عن التساؤلات والعروض البريطانية من أجل تحقيق السلام لذلك وجه سيمور في 10 كانون الثاني 1854 كلاماً جازماً إلى نسلرود الذي كان يعتقد أن بريطانيا وفرنسا ستمعلان في نهاية المطاف لا محالة على إعلان الحرب ضد روسيا، ولقد استمرت الاستعدادات العسكرية من خلال إشراك بعض الضباط البريطانيين والفرنسيين مع الضباط العثمانيين لتقوية حصون مضيق البسفور وعمل الاختبارات اللازمة لفحص مدى قوتها كما تم وضع خطة للدفاع عن استانبول فيما لو تعرضت لهجوم عليها وقاموا بتحديد أفضل الأماكن التي يجب على السفن العثمانية أن ترسو فيها في البحر الأسود⁽¹²⁹⁾.

وفي الأسبوع الأول من شهر شباط 1854 قام سفيراً روسيا في كل من باريس ولندن يطلب جوازات سفرائهما وذلك دلالة على قطع العلاقات الدبلوماسية وهذا ما تم عملياً في 6 شباط 1854، كما صدرت التعليمات كذلك لسفيري بريطانيا وفرنسا في سان بطرسبورغ بمغادرتها⁽¹³⁰⁾ وفي 12 شباط كتب أبردين إلى وزير خارجيته كلارندون قائلاً: "أنا لا اعتقد أننا معنيون بدخول الحرب فأنا أرى أن الحرب ليست ضرورية" كما أخبره بأنه يعتقد أن وزراءه ربما يرغبون في الحرب مع روسيا⁽¹³¹⁾، ثم قام كلارندون بإرسال تحذير إلى نسلرود كما أرسل إلى القيصر في 27 شباط يدعوه إلى صيانة تكامل أراضي الدولة العثمانية والانسحاب من المقاطعات الدانوبية، ومقابل أن يتم توطين المسيحيين في الدولة العثمانية وقبول شهاداتهم في

المحاكم، وإنشاء محاكم مشتركة بين المسلمين والمسيحيين وإلغاء الخراج وأكد كلارندون أن رفض القيصر للمطالب يُعدّ سبباً للحرب⁽¹³²⁾ على أن يكون رد القيصر خلال ستة أيام لكن القيصر رفض إعطاء أي رد⁽¹³³⁾.

بريطانيا وإعلان الحرب على روسيا 12 آذار 1854

كان نتيجة الجدل السياسي الدائر في بريطانيا أن وقعت معاهدة التحالف بين بريطانيا وفرنسا والدولة العثمانية في 12 آذار 1854⁽¹³⁴⁾ وهي المعاهدة التي عرفت رسمياً باسم (معاهدة المساعدة العسكرية للباب العالي) أو تعرف مجازاً (معاهدة استانبول) والتي ضمنت قيام القوات البريطانية والفرنسية بحماية الأراضي العثمانية ضد روسيا وفقاً لمتطلبات الظروف⁽¹³⁵⁾، ورغم أن بعض التوجهات الصحفية الفرنسية كانت تعارض توجه فرنسا نحو بريطانيا ورغم ذلك فإن نابليون الثالث قد عزم على إيجاد هذا التحالف ضد روسيا في المشرق وهو ما لاقى ترحيباً من قبل حكومة بريطانيا ولاسيما من بالمرستون الذي كان بدوره متحمساً لمساندة نابليون ضد روسيا وكان بالمرستون مسؤولاً بشكل كبير عن السياسة الخارجية لبريطانيا رغم كونه وزيراً للداخلية آنذاك⁽¹³⁶⁾ كما تم التصويت في فرنسا على منح الحكومة الفرنسية دعماً مالياً قدره 250 مليون فرنك لدعم اقتراح الحرب، لتعلن بعدها القوات المتحالفة الحرب على روسيا بشكل رسمي في 27 آذار 1854 لتبدأ بذلك مرحلة جديد من مراحل حرب القرم التي استمرت حتى 1856⁽¹³⁷⁾.

مدى مسؤولية بريطانيا عن حرب القرم:

اختلفت المصادر التاريخية في تحديد المسؤولية عن حرب القرم، فهناك من يتهم ستراتفورد السفير البريطاني في استانبول بأنه هو الذي أوحى للسلطان على رفض المطالب الروسية بشأن الأماكن المقدسة وحماية الأرثوذكس داخل الدولة العثمانية وأنه عمل بدأب ونشاط على مقاومة منشكوف ومطالبه وتجريده من قوته وكان ذلك بفعل كراهيته للقيصر تلك الكراهية التي ترجع إلى القيصر نفسه والذي رفض في عام 1832 استقبال ستراتفورد كسفير لدى سان بطرس بورغ بينما قام حزب السلام في مجلس الوزراء الروسي بإطلاق لقب (الرجل الخطير) عليه وذلك ما دفع ستراتفورد من وجهة نظر البعض للمناداة بحرب شاملة ضد روسيا⁽¹³⁸⁾.

كان هناك اعتقاد في بريطانيا عبر عنه المؤرخ (تمبرلي) Temperley وهو أن ستراتفورد كان الوسيط البشري الذي سبب حرب القرم⁽¹³⁹⁾، وذلك من خلال إحباطه مذكرة فينا التي قدمتها بريطانيا وفرنسا وبروسيا في 12 كانون الأول 1853 والتي تدعو روسيا إلى التخلي عن بعض مطالبها المتطرفة وكادت هذه المقترحات أن تحسم النزاع كله وترضي كل من حكومتي بريطانيا

وفرنسا فيما إذا خلصت النية فضلاً عن أن القيصر الروسي والسفير العثماني في فيينا أعربا عن رضاهما بما ورد في المذكرة⁽¹⁴⁰⁾، فستراتفورد من منطلق خبرته الطويلة كان على علم تام بأن رئيس الحكومة أبردين ووزير خارجيته كلارندون لا يرغبان في خوض حرب ضد روسيا ويعملان من أجل السلام وإن بالمرستون الذي يحظى بتأييد الرأي العام كان يسير في اتجاه سياسة تلوح بالقوة وتحمل الأخطار وإن الرأي العام كان يكن لروسيا كراهية شديدة ولهذه الأسباب، كان هناك ظن ولفترة طويلة من الزمان بأن ستراتفورد هو المضرّم الحقيقي لتلك الحرب ومن هؤلاء المؤرخ (مورلي) Morley الذي ذكر أنه كان هناك العديد من الموانع التي حالت دون الوصول إلى حل هادئ للمشكلة المتفاقمة بين روسيا والدولة العثمانية ومن هذا الواقع كان ستراتفورد صحيح أنه كتب الكثير عن دور ستراتفورد الشخصي في تصعيد الأزمة ووصولها إلى الحرب، لكن ستراتفورد لم يكن ليخالف سياسة حكومته في نهاية الأمر وأن الرفض العثماني للمطالب الروسية جاء أساساً ليعبر عن موقف يدرك تماماً خطورة الإذعان لتلك المطالب وهذا لا ينفي أن ستراتفورد ربما يكون قد عزز ذلك الرفض⁽¹⁴¹⁾.

كذلك وضع المؤرخ (اندرسون) Anderson بان رفض مطالب منشيكوف كان بالأساس رفضاً عثمانياً عن التماهي في المطالب الروسية على حساب مصالح العثمانيين والذي أظهر فيما بعد شعوراً دينياً عاماً في وجه هذه الضغوط⁽¹⁴²⁾ وستدل هؤلاء على مواقف ستراتفورد تلك بأنه مكث في استانبول فترة طويلة قام خلالها بحث فرنسا وبريطانيا على تسهيل مطالبهما كما قام بحث الباب العالي على القيام بما يتوجب عليهم لأجراء الإصلاحات الضرورية⁽¹⁴³⁾.

انقسم المؤرخون حول دور ستراتفورد فقد عمل المؤرخ (لأن-بول) Lan - Pool على تبرير مواقف ستراتفورد والدفاع عنها، وأنه كان يعمل جل جهوده لتجنب نشوب الحرب، واعتمد هذا المؤلف الذي يعد أول مؤرخ لسيرة ستراتفورد على رسائل الأخير الخاصة، لكن المؤرخ تمبرلي أتهم لأن-بول. بأنه لم يستخدم مراسلات ستراتفورد مع كلارندون وأبردين⁽¹⁴⁴⁾ ومهما يكن من أمر فإن ستراتفورد كان يكن الاحترام لبالمرستون وقناعاته في امكانية تحديد الدولة العثمانية لذلك فهو عمل بكل تأكيد على السير في اتجاه سياسة بالمرستون حتى ولو كانت معادية لروسيا في الوقت الذي كانت فيه بريطانيا تعتقد أن مبدأ توازن القوى سيتغير بسبب هذا التصعيد بين فرنسا وروسيا⁽¹⁴⁵⁾.

كانت سياسة روسيا واضحة تقوم على حقيقة مسلم بها، وهي تحديد معاهدة كوجك كبنارجي لعام 1774 وتحطيم الدولة العثمانية من خلال دعم عدد من الدويلات المستقلة تكون تحت نفوذها⁽¹⁴⁶⁾ ولم تكن دول أوروبا وفي مقدمتها بريطانيا لتسمح بذلك أو أن تقوم حرباً ثنائية بين الدولة العثمانية وروسيا دون تدخلها وذلك بسبب تداخل المصالح؛ ولأن سياسة بريطانيا التقليدية تقوم على دعم وتأييد الدولة العثمانية للحيلولة من دون توسع روسيا في البحر الأبيض

المتوسط الذي من شأنه أن يهدد مصر وطريق الهند، ولقد ساعد نفوذ بالمرستون والصحافة على إنكاء روح الحرب في نفوس الانكليز، في حين عدّ البعض أن الصراع من الأساس بين الغرب الحر وروسيا في حرب لا بد منها⁽¹⁴⁷⁾ لاسيما وأن بريطانيا كانت ترى أن نفوذ روسيا في المنطقة بعد موت رئيس الحكومة السابقة جورج كاتنج (1770-1827) أصبح هو الأكثر خطراً على طريق الهند⁽¹⁴⁸⁾.

أما بالمرستون فقد كان يسير بعين يقظة على مصالح بريطانيا في الخارج وهي السياسة التي كانت تمثل أهمية قصوى للرأي العام حتى وأن كان ذلك بسبب استياء الحكومات الأوروبية المختلفة والواقع أن تلك الحكومات وجدت في بالمرستون وزيراً مزعجاً كثير التدخل ومثيراً للغضب ففي باريس كان مكروها وكانوا يصفونه (لورد بالمرستون) الرجل المرعب كما نظم الألمان أغنية قصيرة مقدمتها (لو كان للشيطان ابن لكان بالمرستون بالتأكيد)⁽¹⁴⁹⁾ ورغم ذلك يُعدّ بالمرستون من ابرز الشخصيات السياسية التي تولت بعد موت جورج كاتنج⁽¹⁵⁰⁾ يرى بالمرستون أن لروسيا رؤية مستقبلية للوصول إلى البحر المتوسط ومن ثم المحيط الهندي عن طريق إنهاء الوجود العثماني في أوربا والبريطانيين في الهند كما كان يعتقد أن الدولة العثمانية التي أصبحت تعرف باسم (رجل أوربا المريض) ليست مريضة جداً ويمكن لها أن تتعافى وكان مهتماً أن يعمل على بقائها حية بكل ثمن في مواجهة روسيا⁽¹⁵¹⁾ وقارن بالمرستون وربط بين مسألة الدفاع عن الدولة العثمانية والحفاظ على توازن القوى في أوربا⁽¹⁵²⁾ وفي الوقت الذي كان فيه القيصر يصر أن السلطان رجل مريض مشرف على الموت كان رد بالمرستون إذ ذلك مجرد هراء وكانت النتيجة أن بالمرستون وجون رسل وستراتفورد سيطروا بنفوذهم على الأوضاع قبيل وأثناء حرب القرم، أما موقف بالمرستون في محاولاته تصعيد الأوضاع داخل الحكومة ولاسيما موقفه من أبردين رئيس الحكومة وبخاصة عندما أنضم إليه كلارندون أصبح الموقف بصالحه في حالة التعاطي مع الحرب⁽¹⁵³⁾، أما الصحف البريطانية باستثناء التايمز فقد كانت أكثر تأييداً للحرب والأكثر تحريضاً عليها كما كانت متفقة على الاستنزاف ولكن بطرق وأساليب مختلفة، إذ عملت على تعميق الكراهية الشديدة وزادت من العداء ضد القيصر ليس فقط من قبل رجال السياسة البريطانية بل ومن قبل الرأي العام، مما أثر على كل من جون رسل وبالمرستون إلى جانب التوافق بالآراء السياسية فيما يخص روسيا من قبل النمسا وبروسيا وفرنسا⁽¹⁵⁴⁾ وبالرغم من أهمية العامل الاقتصادي في رسم سياسة الدول، فقد دفع هذا بالمرستون إلى ضرورة أخذ الشؤون الاقتصادية بنظر الاعتبار عند تطبيق سياسة المحافظة على كيان الدولة العثمانية⁽¹⁵⁵⁾ وفضلاً عن الجانب الاقتصادي فإن المصالح السياسية والإستراتيجية أيضاً هي التي كانت تصنع القرار في السياسة البريطانية وتمثل تلك المصالح في المحافظة على التفوق والسيطرة على الطرق البحرية من خلال التصدي لأي توسع روسي في البحر الأسود أو المتوسط هذا التوسع الذي من

شأنه أن يهدد مصر أو طرق المستعمرات البريطانية في الهند وكذلك الرغبة في الاحتفاظ بالحاجز الذي تمثله الدولة العثمانية⁽¹⁵⁶⁾.

الأعمال الحربية

استطاعت بريطانيا عبر سنوات عديدة تجنب سلسلة من الحروب الأوروبية الطاحنة وبقي أسطولها خلال تلك الفترة الدرع القوي الذي طالما تحصنت به في مواجهة الأخطار باستثناء حرب القرم⁽¹⁵⁷⁾، سجل ظهور الإنكليز والفرنسيين معا كرفقاء سلاح تحولاً كبيراً في السياسة الأوروبية، إذ قيل أنها المرة الأولى التي يرون فيها مثل هذا التحالف منذ زمن الحروب الصليبية، وفي ظل استمرار القيصر الروسي في مساعيه التصعيدية نحو الحرب غير آبه بالمتغيرات معلناً أنه يضع ثقته بالله⁽¹⁵⁸⁾، وفي ذلك الوقت عملت بريطانيا للحصول على تأكيدات من النمسا وبروسيا بشأن موقفهما من الحرب الدائرة مع روسيا لضمان حيادهما لصيانة تكامل الدولة العثمانية، ولقد تم التوقيع على بروتوكول بهذا الشأن في 9 نيسان 1854، كما تم التوقيع على بروتوكول آخر بشأن العدوان الروسي في 23 أيار شاركت فيه نفس الدول⁽¹⁵⁹⁾، ثم قامت بريطانيا وفرنسا بعد ذلك بحشد المزيد من الجيوش وما يلزمها من المؤن والذخائر والسفن اللازمة لنقلهم وجعلت قيادة الجيوش البريطانية تحت قيادة اللورد (راجلان) والجيوش الفرنسية تحت قيادة (سان ارنو) وأنزلت الجيوش المتحالفة في شهر نيسان وآيار في مناطق غاليبولي واستانبول حتى يتم توزيعها بعد ذلك على الجهات القتالية⁽¹⁶⁰⁾ وفي هذه الأثناء قام كلارندون وزير الخارجية البريطاني بالكتابة إلى نيسلرود طالباً منه ومن جديد إخلاء المقاطعات الدانوبية التي احتلتها روسيا وفي 18 أيار 1853 رفض القيصر الروسي إعطاء أي رد بشأن عدم الاعتداء⁽¹⁶¹⁾، أما على المستوى السياسي فقد دخلت النمسا في اتفاق مع الباب العالي في 14 حزيران تقوم النمسا بموجبه باحتلال مولدافيا وولاشيا حتى يحل السلام ويتم إعلانه، لكن الترتيبات اللازمة مع فرنسا وبريطانيا التي استغرقت حتى شهر كانون الأول من عام 1854⁽¹⁶²⁾ رأى الحلفاء أن خير وسيلة للنيل من روسيا هي غزو شبه جزيرة القرم وحصار سيواستبول وهي الميناء الحربي الحصين لروسيا على البحر الأسود ولم يكن هناك شك في بريطانيا بأن البحر الأسود يعد مركزاً حقيقياً للحرب⁽¹⁶³⁾ قامت القوات الروسية بخطوة مفاجئة من خلال الجلاء عن إمارتي مولدافيا وولاشيا وذلك في نهاية حزيران لتحل محلها بعد ذلك القوات النمساوية في 20 آب 1854 وعادت القوات الروسية إلى ما خلف نهر البروث مما أدى إلى تغير الخطط الحربية لدى الحلفاء والتي كانوا عملوا عليها من قبل، وأصبح من الضروري إيجاد مسرح جديد يتناسب والعمليات العسكرية واجمعوا أمرهم على إرسال قواتهم إلى القرم⁽¹⁶⁴⁾ وقد نتج عن انسحاب القوات الروسية من ولايتي الدانوب وحلول القوات النمساوية محلها تطورات دبلوماسية وعسكرية، فمن الناحية الدبلوماسية خلف ذلك الانسحاب في روسيا عداء شديد للنمسا الأمر الذي زاد من خطر

الحرب على النمسا ومن ثم فإن استمرار العمليات العسكرية جعل إعلان روسيا الحرب على النمسا أمراً محتملاً⁽¹⁶⁵⁾ ولذا أصبحت النمسا تسعى إلى إنهاء الحرب ودخلت في مفاوضات مع فرنسا في باريس في تموز 1854 وأسفرت هذه المفاوضات عن وضع أربع نقاط حددت دبلوماسية حرب القرم وانتقلت الدولتان على أنه لا يمكن إقامة علاقات وطيدة بين روسيا والدولة العثمانية إلا وفق الأسس الآتية:

- 1- حرية الملاحة في نهر الدانوب.
 - 2- وضع ضمان أوربي لولايتي الدانوب محل حماية روسيا لها.
 - 3- إعادة النظر في اتفاقية المضائق لعام 1841 لصالح توازن القوى في أوربا.
 - 4- تخلي روسيا عن أي إدعاء بحماية النصارى الأرثوذكس في الدولة العثمانية وبدلاً من ذلك وعد السلطان العثماني دول أوربا بتحسين أحوال رعاياه النصارى⁽¹⁶⁶⁾.
- وكانت النقطتان الأولى والثانية قد سويتا من خلال الانسحاب الروسي من ولايتي الدانوب في آب 1854⁽¹⁶⁷⁾، أما النقطة الرابعة والتي هي السبب الأساس فقد حسمت عندما وافقت روسيا على مذكرة فيينا في آب 1853 لذلك فإن حرب القرم قامت في الواقع على أساس النقطة الثالثة بسبب الخلاف بشأن تفوق القوة البحرية الروسية في البحر الأسود لما لهذا من تأثير على الدولة العثمانية وعلى توازن القوى في أوربا⁽¹⁶⁸⁾.
- ومن الغريب أن بريطانيا التي اعترضت على النقاط الأربع في بداية الأمر كونها لم تكن حاضرة عند وضع مسودتها، وقد أفادت منها كثيراً مقارنة بفرنسا والنمسا اللتين وضعتا النقاط الأربع إذ كانت بريطانيا ستحرم روسيا بعد هزيمتها من النفوذ في البلقان وتمنعها من إبقاء سفن حربية في البحر الأسود، أما فرنسا فلم تكن تجني إلا فوائد ضئيلة مع أنها هي التي تقدم الجزء الأكبر من القوات المقاتلة⁽¹⁶⁹⁾.

وقد قامت جيوش التحالف بعد انسحاب القوات الروسية في 14 أيلول 1854 بإنزال قواتها في القرم من دون معوقات وكانت هذه القوات مليئة بالحماس والقوة والاندفاع وعمل الأسطول العثماني على إمداد تلك القوات بأعظم الخدمات والتي بلغ تعدادها (50) ألف مقاتل من الحلفاء مقابل (350) ألف مقاتل روسي وتجمعت قوات الحلفاء في اوبتوريا شمال سيباستول⁽¹⁷⁰⁾.

في تلك الأثناء أرسل راجلان إلى ستراتفورد بأن القسم الأكبر من القوات الروسية قد انسحبت من العديد من المناطق واتجهت للتمركز بالقرم حيث العمليات الحربية الأساسية والأشد ضراوة وذلك لتعزيز الوجود الروسي هناك⁽¹⁷¹⁾، وفي ذلك الوقت العصيب عثرت قوات التحالف على حليف جديد وذلك في شخص كافور والذي كان وزيراً أول لمملكة سردينيا ولم تكن المناطق الإيطالية التي تشملها هذه المملكة لها أي مصلحة في خوض حرب مثل حرب القرم ولقد وقعت

سردينيا الاتفاق العسكري في دول التحالف في 26 كانون الثاني 1855 وبعد أسابيع أرسلت (15) ألف جندي إيطالي إلى القرم⁽¹⁷²⁾، وقد حدث في الساحة البريطانية تغيير كان له تأثير على الحياة السياسية فقد كان أبردين يسعى للسلام وإنهاء الحرب التي عمل من الأساس على عدم قيامها لكنه فشل في ذلك، مما أدى إلى فشله في الاستمرار في إدارة الحكومة، وأمام العجز العسكري للحلفاء في العديد من الجبهات القتالية ثار مجلس العموم والرأي العام في بريطانيا وأدى ذلك كله إلى قيام أبردين بتقديم استقالته في 30 كانون الثاني 1855 كما استقال بيل وجون رسل، لكن الأخير سرعان ما تراجع عن استقالته أما كلارندون فقد قال: "لورد جون رسل ولورد أبردين ربما يستقيلان أما أنا فلا أستطيع فعل ذلك، ربما أتمنى أن افعلها أحياناً"⁽¹⁷³⁾، وبدا واضحاً أن بالمرستون كان يعتقد أنه القادر فقط على إدارة الحكومة والبلاد وجرت اتصالات عديدة من أجل قيام الأحزاب بمشاركة بالمرستون إدارة البلاد في تلك الحقبة الحرجة، لكن الملكة لم تكن تفكر أو ترغب في مشاركة هؤلاء في حكومة بالمرستون، ولقد أدى ذلك إلى جدل سياسي واسع بين معارض ومؤيد من كلا الحزبين الرئيسيين، وكانت النتيجة أن شكل بالمرستون وزارته وأصبح رئيساً للوزراء في 6 شباط 1855⁽¹⁷⁴⁾ لقد كان بالمرستون سعيداً بإسقاط أبردين وينظر إلى الحرب الدائرة على أنها أمر مضمون ويجب أن تستمر بقوة وأن تكون الشروط المفروضة على روسيا قاسية⁽¹⁷⁵⁾، وفي تلك الأثناء توفي القيصر نيقولا الأول في 2 آذار 1855 وجاء من بعده الاسكندر الثاني Alexander II (1855-1881) والذي أعلن عن رغبته في السلام وميله إلى عقد الصلح⁽¹⁷⁶⁾ وقد نجحت بريطانيا وفرنسا من خلال ممارسة الضغط على القيصر الجديد من تحويل اجتماعات السفراء التي كانت تعقد في فيينا إلى مؤتمر رسمي وعندما افتتح هذا المؤتمر في 5 آذار 1855 اتفق مندوبو بريطانيا وفرنسا والنمسا والدولة العثمانية وروسيا على شرطي إعلان عدم حماية روسيا لولايتي الدانوب وحرية الملاحة في نهر الدانوب لكن روسيا لم توافق على ضمان استقلال الدولة العثمانية وسلامتها، كما رفضت الشرط الثالث وهو المتعلق بتحديد سفنها في البحر الأسود وبسبب ذلك توقفت جلسات المؤتمر في 27 آذار 1855⁽¹⁷⁷⁾.

أعيد عقد المؤتمر رفض غوريتشاكوف سفير روسيا في فيينا مرة أخرى تحديد عدد سفن روسيا في البحر الأسود وضمن استغلال الدولة العثمانية وبالمقابل عرضت روسيا على الدول الأوروبية إقفال مضيق البسفور والدردنيل أمام السفن الأوروبية كافة وفقاً لما تعهدت به الدول في معاهدة المضائق لعام 1841، وإعطاء الباب العالي مسؤولية فتحها عند الحاجة لسفن الدول المتحالفة معه، غير أن المؤتمرين لم يصلوا إلى اتفاق حول ذلك، الأمر الذي أدى إلى إيقاف جلسات المؤتمر للمرة الثانية في 27 نيسان 1855، وفي أوائل حزيران أعيد عقد المؤتمر للمرة

الثالثة، ولكن مندوبو الدول تضارب آرائهم كما حصل في المرة الأولى والثانية مما يعني أن المؤتمر وصل إلى طريق مسدود ولم يعد يعقد بعد ذلك⁽¹⁷⁸⁾.

إن فشل المؤتمر الذي عقد في فيينا من دون التوصل إلى صلح مناسب يضع حلاً لحرب القرم، دفع حكومتا بريطانيا وفرنسا إلى الاتفاق على القيام بعملية عسكرية حاسمة ضد سيباستول، وتمكنت قوات التحالف خلال تلك العملية من الاستيلاء على سيباستول في 8 أيلول 1855⁽¹⁷⁹⁾ وقد احدث سقوط سيباستول تأثيراً هائلاً في أوروبا وظهرت دعوات تدعو إلى إيقاف الحرب وعقد الصلح بين دول التحالف وبين روسيا، غير أن بالمرستون الذي أصبح رئيساً لوزراء بريطانيا في شباط 1855 كان يرى في سقوط سيباستول مقدمة لحرب واسعة ضد روسيا وأن رفض روسيا لمطالب دول التحالف من شأنه أن يطيل الحرب مما يفسح المجال له في تحقيق وتنفيذ خطته السابقة في اقتطاع أجزاء من الأراضي الروسية⁽¹⁸⁰⁾.

استمرت دول التحالف بعد سقوط سيباستول في التقدم واستولت قواتها على مواقع روسية عدة مهمة في البحر الأسود وبحر البلطيق⁽¹⁸¹⁾ ولم يقتصر اهتمام بالمرستون على الاستيلاء على أراضي روسية وإنما كانت لديه خطط خاصة في بولندا وأقطار البلطيق والقرم والقفقاس⁽¹⁸²⁾ وذلك يعني أن بالمرستون كان يختلف عن نابليون الثالث حول سير العمليات العسكرية إذ أن الأخير كان قد مل الحرب ورغب في إنهاؤها⁽¹⁸³⁾، لاسيما بعد انتشار مرض الكوليرا والذي أدى إلى أضعاف الروح المعنوية لجنود التحالف، ولاسيما جنود بريطانيا وعند قدوم الشتاء لم يقم القادة باتخاذ الإجراءات الاحتياطية اللازمة لذلك، فقد تم تقديم صورة بشعة من المعاناة نتيجة البرد الشديد والحرب، لذلك فقد هبط عدد الجنود الانكليز القادرين على حمل السلاح والقتال إلى (11) ألفاً وهذا ما أكدته مراسل جريدة التايمز في وصفه خلال حصار سيباستول⁽¹⁸⁴⁾ إن إصرار بريطانيا على استمرار الحرب كان يعني أنها ستضطر إلى مواصلة الحرب وحدها غير أن بريطانيا عادت وانضمت إلى فرنسا في رغبتها في إنهاء الحرب وقررت الدولتان معاً العودة إلى استخدام النمسا في الضغط على روسيا لتحقيق السلام ولاسيما أن النمسا لم تفعل شيئاً ضد روسيا تنفيذاً لما التزمت به بموجب معاهدة كانون الأول 1854⁽¹⁸⁵⁾ إلا أن النمسا كانت تشك في نوايا نابليون الثالث والتي ستثير قلقها ولاسيما عندما عقد الأخير مع سردينيا (التي كانت تعمل على تحرير إيطاليا كلها من تحت نير النمسا) اتفاقية في 28 كانون الثاني عام 1855، وقد سعت سردينيا من وراء هذه الاتفاقية الحصول على مساعدة دول التحالف في إخراج النمسا من إيطاليا⁽¹⁸⁶⁾ الأمر الذي زاد من قلق الحكومة النمساوية ودفعها إلى الاستجابة للضغوط البريطانية والفرنسية ودفع وزير خارجيتها بول مع بوركني سفير فرنسا في فيينا في 4 تشرين الثاني عام 1855 اتفاقية تضمن شروط الصلح التي كان على النمسا تقديمها إلى روسيا بصيغة إنذار وهذا الإنذار يتضمن الشروط الآتية⁽¹⁸⁷⁾:-

- 1- تقرير حرية الملاحة في مصب نهر الدانوب تحت ضمانات الدول الكبرى.
 - 2- جعل البحر الأسود حراً ويتم العمل بذلك بموجب معاهدة مستقلة تعقد بين الدولة العثمانية وروسيا، وتقرير مبدأ إغلاق مضيق البسفور والدردنيل في وجه السفن الحربية الأجنبية كافة.
 - 3- تأكيد حقوق النصارى في الدولة العثمانية دون إلحاق ضرر باستقلالها وسيادتها العليا.
 - 4- جواز وضع شروط جديدة إذا اقتضت مصلحة أوروبا ذلك⁽¹⁸⁸⁾.
- وبالرغم من سوء الأوضاع في الجبهات القتالية واستنزاف الموارد المالية والاقتصادية حدث تغير سياسي وعسكري له قيمة معنوية، إذ قام بالمرستون بعقد معاهدة هجومية ودفاعية مع ملك السويد في 21 كانون الأول 1855 تعهد ملك السويد بموجبها لبريطانيا وفرنسا بمساعدتهما وعدم التنازل لروسيا أو السماح لها باحتلال أي جزء من بلاده وتعهد بالتحرك ضدها⁽¹⁸⁹⁾ وبذلك اتضح لروسيا أنه أصبح من المستحيل عليها تحقيق الانتصار على كل تلك القوى المجتمعة والمتأهبة ضدها⁽¹⁹⁰⁾، وشعرت روسيا بأنها مهددة بدرجة خطيرة لاسيما بعد سياسة التحالفات التي انتهجتها بريطانيا في تحشيد أكبر قدر من دول أوروبا ضد روسيا⁽¹⁹¹⁾.
- على أية حال أعلنت بريطانيا في 5 كانون الأول 1855 موافقتها على الشروط الأخيرة بعد تعديلها ولاسيما ما يخص حياد البحر الأسود والتي وضعتها فرنسا والنمسا منفردتين⁽¹⁹²⁾.
- اتفاقية باريس 30 آذار 1856 ونهاية حرب القرم**
- اتفاقية باريس 30 آذار:**

في تلك المرحلة تقدمت النمسا بعد أن طال أمد القتال والصراع بأفكارها الجديدة لوقف الحرب وعقد مؤتمر للسلام، لذلك قدم الحلفاء شروطهم إلى روسيا في هذا الوقت، وطلبت النمسا قبولها في 5 كانون الثاني 1856، ولقد قبلت روسيا معظم تلك الشروط لكنها رفضت التنازل عن أي أرض احتلتها أو إضافة أي شروط جديدة لصالح دول أوروبا في مؤتمر الصلح المقرر، ولقد قدمت حكومة فيينا بتهديد (جورشا كوف) بأنه إذا لم تقبل روسيا الشروط المقررة فإن العلاقات الثنائية بين النمسا وروسيا سيتم قطعها في مدة لا تتجاوز 18 كانون الثاني 1856⁽¹⁹³⁾.

إلى جانب التهديد النمساوي تلقى القيصر الروسي رسائل ملحة من الملك فردريك وليم الرابع ملك بروسيا يحثه فيها على قبول الشروط وينذره بأنه على الرغم من أن بروسيا لم تؤيد الإنذار النمساوي فإنها لا تستطيع البقاء على الحياد إذا تلقت تهديد من فرنسا بحرب في الراين⁽¹⁹⁴⁾ وبناء على ما سبق فقد تم عقد اجتماع روسي نمساوي ثنائي وحاسم في 15 كانون الثاني وهو ما أسفر حينها عن قبول روسيا رسمياً الشروط المقدمة من قبل التحالف⁽¹⁹⁵⁾ ولقد قام السلطان العثماني بدعم من حكومة بريطانيا في خطوة جديدة تجاه وضع نهاية الحرب وقبل

انعقاد مؤتمر باريس بإعلان إصلاحاته المعروضة بخط همايون في 18 شباط 1856 والخاصة بتحسين أوضاع الأقليات ولاسيما المسيحية منها، والعمل على إيجاد المساواة وإعطائهم المزيد من الحقوق والتأكيد عليها⁽¹⁹⁶⁾.

افتتح مؤتمر باريس في 25 شباط 1856 بحضور جميع الأطراف المشاركة في الحرب فضلاً عن النمسا وبروسيا⁽¹⁹⁷⁾ وذلك تحت رئاسة الكونت ولوسكي وزير الخارجية الفرنسي باعتبارها البلد المضيف للمؤتمر، وعملت بريطانيا في المؤتمر على إضعاف موقف روسيا بكل السبل المتوفرة أما فرنسا فكانت على استعداد للتعامل أكثر مع روسيا⁽¹⁹⁸⁾ وكانت النتيجة أن هذه الدول التي أنهكتها الحرب توصلت إلى معاهدة باريس في 30 آذار 1856 وتعدّ معاهدة باريس من الناحية الظاهرية مكاسب للسلطان إلا أنه ما أن يهتم المرء بقراء اللغة الدبلوماسية التي صيغت فيها القرارات حتى تتكشف بجلاء رغبة الدول الأوروبية في التدخل في شؤون الدولة العثمانية⁽¹⁹⁹⁾.

أما أهم البنود التي نصت عليها اتفاقية باريس 1856

المادة 7: تتعهد الدول الموقعة على الاتفاقية باحترام سيادة الدولة العثمانية، والتعهد جميعاً بالمحافظة على هذا المبدأ، وأن كل أمر يؤدي للإخلال بذلك تعتبره الدول الموقعة من المسائل التي يترتب عليها مسألة تهمة أوربا، وفي هذا اعتراف ضمني بحق الدول الأوروبية في الاحتفاظ بحق التدخل في جميع الظروف التي من وجهة نظرها تبدو سبباً للإخلال بالمعاهدة.

المادة 8: تعهد السلطان بإصدار منشور لإصلاح أموال رعاياه، وإصلاح ذات بينهم بغض النظر باختلاف الدين أو الجنس وأن يبدي مساعيه الخيرية تجاه رعاياه المسيحيين القاطنين في بلاده على أن لا يفهم من هذا حق الدول الموقعة بأي حال كانت مجتمعة أو منفردة في التدخل ما بين السلطان ورعاياه أو بإدارة سلطته الداخلية.

المادة 10: تجدد العمل باتفاقية المضائق لعام 1841 بموافقة الجميع فيما يتعلق بحق الدولة العثمانية في إغلاق المضائق.

المادة 11 إقرار حياد البحر الأسود، وأنه لا لزوم لبقاء التحصينات البحرية الحربية وأن البحر الأسود مفتوح لجميع الأمم مع منع دخول السفن الحربية فيه سواء للدول التي لها شواطئ عليه أو لغيرها.

المادة 14: أن تتفق روسيا والدولة العثمانية على تحديد عدد السفن الخفيفة اللازم إبقائها في البحر الأسود لصالح تلك الدول.

المادة 22: أن تبقى ولايتي مولدافيا وولاشيا (الأفلاق، والبغدان) تحت سيادة الباب العالي وتتعهد الدول المتعاقدة في اتفاقية باريس دون أي تدخل خارجي في شؤون الدولة العثمانية.

المادة 26: موافقة الباب العالي على إعطاء الولاياتين المذكورتين حق إنشاء جيش محلي أهلي للمساعدة في تأمين البلاد.

المادة 27: في حال وجود اضطرابات داخل الولاياتين يتفق الباب العالي مع الدول المتعاهدة على اتخاذ وسائل لدفع ذلك الخل، وإقرار الطمأنينة، وأن لا يكون هناك أي تدخل عسكري دون أن توافق عليه الدول، وهذا ما يعطي أوريا حق التدخل من جديد في السياسة الداخلية للدولة العثمانية⁽²⁰⁰⁾.

يبدو أن بالمرستون كان قد شعر بأن هناك اتصالات ثنائية بين فرنسا وروسيا تجري دون علم بريطانيا لذلك قام بالاتفاق مع النمسا في إطار الدبلوماسية السرية بالعمل على إلزام فرنسا بالوقوف ضد روسيا وفقاً لما سبق الاتفاق عليه في حالة مهاجمة الأخيرة للدولة العثمانية⁽²⁰¹⁾. وبذلك تم التوصل لمعاهدة باريس السرية في 15 نيسان 1856 بين بريطانيا وفرنسا والنمسا، والتي قررت في مادتها الأولى ضمان الدول الثلاث استقلال وتكامل الدولة العثمانية وسلامة أراضيها وعدم التدخل بين السلطان ورعاياه ولا في الإدارة الداخلية، وفي حال وجود صعوبات فإنه يجب عدم اللجوء إلى استخدام القوة، أما المادة الثانية فقد قررت، أن الإخلال بأي مادة من معاهدة باريس 30 آذار يُعدّ سبباً للحرب وتلتزم الدول الثلاث بالاتفاق مع الدولة العثمانية في استخدام القوة البرية والبحرية الضرورية من دون تأخير لإعادة الأمور إلى نصابها⁽²⁰²⁾.

أراد بالمرستون في حقيقة الأمر من معاهدة باريس السرية إلى جانب ضبط توجيهات فرنسا، والإمعان في إذلال روسيا أكثر من ذي قبل، على الرغم من عدم مشاركتها في هذه المعاهدة، كما أراد زيادة الضمانات من أجل تنفيذ أحكام معاهدة باريس وتبديد الآمال الروسية في تعديل أو إلغاء أو تجاهل المواد التي تتعلق بالمضائق العثمانية وحياد البحر الأسود، كما أراد إجبار فرنسا البقاء إلى جانب التحالف من الناحية العملية، حتى لو بقيت في ذلك الوقت من الناحية النظرية إلى جانب روسيا⁽²⁰³⁾.

نتائج حرب القرم:

تُعد اتفاقية باريس 30 آذار 1856 بالنسبة للدولة العثمانية انتصاراً لكنه انتصار فادح الثمن، إذ أن السلطان لم يفقد أي خسارة إقليمية يمكنه الأسف عليها، بل أن معاهدة باريس منحتة في الولايات الرومانية تعديلاً حدودياً يسهم في إبعاد روسيا عن مصب نهر الدانوب، في حين كان الهدف من إعلان الإصلاحات وإعطاء حقوق المواطنة للرعايا غير المسلمين، هو قطع الطريق على روسيا للحيلولة بينها وبين البحر الأسود، وكانت تريد تحويله إلى منطقة محايدة منزوعة السلاح وتقف حائلاً دون أي اعتداء روسي قد يأتي من تلك الجهة، لكن الأهم من هذا كله هو أن وحدة أراضي الدولة العثمانية تحت كفالة الدول الأوروبية وضماناتها، وتلك الضمانات التي لم تكن إلا وعود ظلت حبراً على ورق⁽²⁰⁴⁾.

حتى أن المؤرخ ميلر Miller تساءل عن المزايا التي عادت على الدولة العثمانية من معاهدة باريس، إذ أن كلاً من بريطانيا وفرنسا والنمسا وإيطاليا قد عملت بعد عام 1856 على تقطيع أوصال الدولة العثمانية والعمل على ضم أجزاء من ممتلكاتها وأصبحت المحافظة على استقلال وتماسك ممتلكات الدولة العثمانية، ليست ذات قيمة (205).

شهدت الدولة العثمانية للمرة الأولى ذلك العدد الضخم من الجنود الأجانب وازدحمت استانبول بالدبلوماسيين ووصلتها أعداد من الجنود والعتاد الحربي و الجرحى، كما استنزفت هذه الحرب موارد البلاد وفتحت نفقات الحرب الباهظة لأول مرة أبواب الاستدانة من الخارج بفوائد كبيرة استدعت فيما بعد تدخل الدول الأوروبية، وكانت إطالة أمد الحرب وامتدادها أن جعلت المتحالفين يقومون بمحاولات مهمة نحو تغيير التركيب القضائي للمجتمع العثماني بشكل معين لصالح الرعايا غير المسلمين (206).

أما فيما يتعلق بعدد الضحايا في الحرب فتباينت الإحصاءات، إذ كانت حرب القرم حرباً أوروبية بالدرجة الأولى كشفت للعيان مدى حجم الحروب الحديثة التي اشتعلت فيما بعد إذ شارك فيها مئات الآلاف من الجنود الذين قطعوا عشرات الآلاف من الكيلومترات وأقيمت فيها السكك الحديدية وخطوط التلغراف ونشطت تحركات الأسطول الذي جرى تجهيزه بالأساليب الحديثة ولاسيما السفن المدرعة العاملة بالبخار كل ذلك أدى إلى زيادة الضحايا، إذ كان ثمن الحرب بالنسبة لبريطانيا مؤلماً إذ قتل ما بين 20-30 ألف من البريطانيين وكلفتها من (30 إلى 80) مليون جنيه إسترليني، ويذكر أنها حصدت أكثر من 600 ألف ضحية من كافة الجيوش المتحاربة (207).

وكانت هذه الخسائر الكبيرة هي التي دفعت نابليون الثالث للاعتراف بأنه قد أعطى أربع من أصابع يده للتوصل بأسرع وقت ممكن إلى اتفاق، أما بريطانيا فقد بدأت تدرك إن كان بالإمكان الاستغناء عن تلك الحرب وأنه يجب طي هذه الصفحة من دون تأخير، لذلك فإن بالمرستون الذي هو أكثر رجل دعا للحرب وكان أحد مسببها جاء إلى السلطة ليقوم بإنهائها (208).

وكان لورد كلارندون من وجهة نظر البعض دون قوة في مؤتمر باريس ولم يلق الدعم الكافي من ممثل فرنسا مما أضطره إلى الموافقة على بعض الأشياء التي كان ستراتفورد قد احتج عليها وكانت النتيجة هي التوصل لاتفاقية غير مربحة لبريطانيا (209) أما عن موقف ستراتفورد الذي عاش ثلاث وتسعين عاماً قضى معظمها في تقوية نفوذه ونفوذ بلاده في الدولة العثمانية فقد قال حين سمع أنه تم التوقيع على معاهدة باريس "الخير لي أن أقطع يدي اليمنى من التوقيع على هذه المعاهدة" (210) ولم يتوانى عن التعبير الدائم عن خيبة أمله وشعوره الحاد جداً بسبب

فزع ووجل حكومته والذي جعله ضحية دفاعهم عن فرنسا وهذا ما عبر عنه معظم الساسة البريطانيين في نهاية الحرب وتوقيع معاهدة باريس بأنها خيبة أمل كبيرة⁽²¹¹⁾.

كانت اهتمامات بريطانيا ومصالحها تزداد فيما وراء البحار وكانت حرب القرم مناسبة ليخوض الشعب البريطاني المغامرات القارية فبعد الحروب النابليونية بدا أن ساحة المواجهة من داخل أوروبا انتقلت إلى خارجها وكانت بريطانيا مسؤولة بشكل كبير عن نتائج حرب القرم والتي رأى فيها القيصر الروسي أن بريطانيا جادة في اعتراض طريقه ولاسيما في الشرق ونجحت جهودها في صيانة أملاك الدولة العثمانية في أوروبا ومنع توسع روسيا في اتجاه البلقان والمضائق وصولاً إلى البحر المتوسط، وكان بالمرستون لا يزال يدافع عن موقفه في حرب القرم، إذ قال: "لقد دعمنا الدولة العثمانية من أجلنا ومن أجل مصالحنا الخاصة، وأن السياسة البريطانية كانت منذ البداية إلى النهاية هي حماية الدولة العثمانية في ظل توجه روسي مثير للاشمئزاز للهيمنة الخطيرة على شرق أوروبا والتي يكمن خلفها حماية حقيقية للمصالح البريطانية في الشرق"⁽²¹²⁾.

استمرت بريطانيا في السنوات التي تلت حرب القرم في سياسة التحالف مع الدولة العثمانية لتتطابق ذلك مع المصالح البريطانية، وعملوا على دعم وسائل الإصلاح داخل الدولة العثمانية لكن هذا الدور المركزي قد تعرض للضعف بعد موت بالمرستون في ظل ازدياد نفوذ الساسة البريطانيين غير المتعاطفين مع الدولة العثمانية ونظامها السياسي، وكان على رأس أولئك كلابستون ذو التوجه الليبرالي، لكن الأمور لم تتوقف عند الليبراليين وحدهم بل وصلت إلى العديد من أعضاء حزب المحافظين الذين توصلوا إلى آراء وأفكار غير متعاطفة مع الدولة العثمانية مروجين فكرة إن دخول بريطانيا حرب القرم لجانب الدولة العثمانية لم يكن من الحكمة في شيء وأن تأسيس دول مستقلة في البلقان أو ذات حكم ذاتي - وهو ما عارضته بريطانيا من قبل لن يؤدي بالضرورة إلى هيمنة روسيا عليها ولن تصبح ذلك في في نهاية المطاف مصدر للخطورة، وأن على بريطانيا التحالف مع الدول التي تبدي اهتماماً بتقسيم أملاك الدولة العثمانية⁽²¹³⁾.

لكن بريطانيا حتى ذلك الوقت كانت مصالحها قد تزامنت مع مصالح الدولة العثمانية، بل يمكن القول أن مصالح بريطانيا السياسية في الدولة العثمانية كانت هي الأكثر أهمية وذلك من خلال التعليمات التي أعطيت لموظفيها لتعزيز النفوذ البريطاني، كما أن رأس المال البريطاني استفاد كثيراً بعد عام 1856 من الامتيازات الممنوحة له من قبل الباب العالي⁽²¹⁴⁾.

إصلاحات خط همايون 1856

أثارت حرب القرم مجدداً مسألة الأقليات وحالة الفوضى في شتى المجالات الحياة داخل الدولة العثمانية لذلك فقد عملت الدول الأوروبية وفي مقدمتها بريطانيا إلى تلافي الضرر مستقبلاً

حل المشكلة من خلال القيام بوضع الحلول لما كان تعدّه مسببات هذه الحرب ولقد كان ستراتفورد يعتقد بأن المشاكل سوف تنتهي داخل الدولة العثمانية إذا ما كانت الأخيرة قادرة على إنقاذ نفسها من خلال الإصلاح والذي عدّه ممكنًا في ذلك الوقت⁽²¹⁵⁾، والواقع أن الأمر تعدى الإصلاح داخل الدولة العثمانية ليقوم ستراتفورد بالتدخل في كل صغيرة وكبيرة، استمرت جهود بريطانيا عبر ستراتفورد من أجل المزيد من الإصلاحات والتي تمخضت قبل عقد مؤتمر باريس إلى قيام السلطان عبد المجيد بالإعلان عن إصلاحاته والتي عرفت باسم (خط همايون في 18 شباط 1856) والتي تنص على إدخال الإصلاحات في شتى نظم الدولة العثمانية وحصول الرعايا غير المسلمين على المساواة التامة والمطلقة في الحقوق السياسية مع المواطنين المسلمين⁽²¹⁶⁾.

يُعد المرسوم علامة بارزة في تاريخ التنظيمات إذ يحتوي نصاً أكثر دقة وتفصيلاً من خط شريف كولخانة 1839؛ لأنه يضمن للأقليات غير المسلمة ودفعاً واحدة احترام حصانتها التقليدية وحرية العبادة وحق إدارة ممتلكاتها دون أدنى عائق⁽²¹⁷⁾. وينظر بعض الباحثين إلى خط شريف كلخانة في 3 تشرين الأول 1839 وخط همايون في 18 شباط 1856 على أنهما وثيقتان دستوريتان اشتملتا على مبادئ عامة في الحكم والإدارة مثل إعلان المساواة بين جميع رعايا الدولة العثمانية أمام القانون بغض النظر عن دياناتهم وأعرافهم، وكذلك المساواة في الحقوق وفي الضرائب وإعطاء الجميع الحرية الدينية وإقامة الشعائر الدينية ومنع العقوبات الجسدية وإعادة تنظيم قوات الشرطة بحيث توجي في نفوس الرعايا الأمن والطمأنينة والمحافظة على أرواحهم وممتلكاتهم وحرمة مساكنهم ووضع موازنة مالية سنوية توضح فيها أوجه الإنفاق⁽²¹⁸⁾.

أحاط السلطان عبد المجيد الدول الأوروبية علماً بالفرمان الإصلاحي الأمر الذي دفع الدول إلى الإشارة إليه في صلب معاهدة باريس عام 1856، إذ أشارت الفقرة الأولى من المادة التاسعة على أن السلطان العثماني قد اصدر فرماناً عبر فيه عن رغبته الداعمة لتحقيق رفاهية رعاياه لتحسين أوضاعهم دون تمييز في الدين أو العرق وأن السلطان قد أكد نواياه الطيبة تجاه رعاياه المسيحيين في دولته، ولكي يدل على صدق نواياه فقد ابلغ الدول المجتمعة في المؤتمر بشأن هذا فرمان الصادر بمحض إرادته⁽²¹⁹⁾، وكان واضحاً أن الدولة العثمانية قد تباطأت كثيراً في مسالة تطبيق الإصلاحات الأمر الذي أثار حكومة بريطانيا إذ أرسل كلارندون إلى ستراتفورد في 28 شباط 1856 يدافع عن موقف الحكومة البريطانية بشأن ما اسماه (الاضطهاد الديني) في الدولة العثمانية وعدم استمرارها في القوانين والممارسات التي تُعدّ إهانة لكل الأمم الأوروبية والتي بذلت جهود كبيرة وتضحيات ثمينة في حرب القرم من أجل أن يبدي السلطان حسن النية في تنفيذ الإصلاحات التي وعد بها، ويعتبر البعض أنه لا جدوى من إصلاحات خط همايون

لأنها لم تأتي من منطلق الشعور بضرورة القيام بما جاء فيها، بل كنتيجة مباشرة لحرب القرم⁽²²⁰⁾.

ولم تلبث الآمال التي علقت على الإصلاحات أن خابت جميعاً فمن وجهة النظر البريطانية فإن الدولة العثمانية لم تكن جادة ومؤمنة بها، كما أن المجموعات العرقية المختلفة داخل الدولة العثمانية كانت تنقصر إلى ضبط النفس ومراعاة الغير، وهو ما يجب توفره من أجل هذه الإصلاحات أما مبدأ المساواة الدينية فقد عدته بريطانيا يمس بالأسس التي قامت عليها الحياة الإسلامية منذ قيامها أما فيما يتعلق بالمساواة في الخدمة العسكرية فقد كان معظم الرعايا المسيحيين ينفرون من تأديتها ويفضلون دفع البديل بدلاً عن ذلك ومن نفس الوجهة البريطانية كان العثمانيين في حقيقة الأمر يفضلون الحصول على نفوذ أكثر من اهتمامهم بخدماتهم وبلغت خيبة الأمل البريطانية وبقية الدول الأوروبية في تطبيق الإصلاحات مرحلة متقدمة وهي أن الدولة العثمانية لم تمتلك المرونة السياسية والتطور الفكري في تطبيقها لتلك الإصلاحات⁽²²¹⁾.

الخاتمة

1- نشبت حرب القرم 1853-1856 بين روسيا والدولة العثمانية في بادئ الأمر ثم تحولت إلى حرب أوروبية- أوروبية شاركت فيها معظم الدول الأوروبية ولاسيما بريطانيا وفرنسا والنمسا وسردينيا فضلاً عن الدولة العثمانية صاحبة المشكلة.

2- حتمت مصالح بريطانيا في منطقة الشرق الوقوف بحزم مع الدولة العثمانية صاحبة السيادة على هذه الولايات أمام أي تهديد أوروبي للدولة العثمانية من شأنه أن يلحق الضرر بتلك المصالح، من هنا نشأ ما يسمى بمبدأ المحافظة على الممتلكات العثمانية في السياسة البريطانية، وقد وضعت هذه السياسة في عهد رئيس الوزراء وليم بت، وهكذا نجح البريطانيون بفضل هذه السياسة، وبفعل تضارب المصالح للدول الأوروبية وتنافسها الإبقاء على الرجل المريض (الدولة العثمانية) حياً لهدف هام هو ضمان سلامة الطرق الموصلة إلى الهند ببقائها تحت سيطرة الدولة العثمانية الضعيفة المتهاوية.

3- الخلاف الخطير الذي حدث بين روسيا وفرنسا والذي انعكس على العلاقات الدولية مما أدى إلى افتتاح قضية الشرق مرة أخرى بسبب تدخل القيصر الروسي نيقولا الأول في شؤون أماكن العبادة في القدس عن طريق بعثة منشيكوف إلى استانبول.

4- وقوع القيصر الروسي نيقولا الأول في أخطاء استراتيجية كبيرة من خلال اعتقاله إمكانية التوصل إلى اتفاق مع الحكومة البريطانية حول اقتسام أملاك الدولة العثمانية بعد اتفاقه مع بريطانيا عام 1844 وما شاهده من حفاوة وتقدير كبير من المسؤولين السياسيين في لندن، ولم يدرك أن الذي يقرر السياسة البريطانية ليس العواطف الشخصية بل مصالح الدولة الإستراتيجية في بريطانيا.

5- اقتضت السياسة البريطانية إلى الإبقاء على تكامل وسلامة أراضي الدولة العثمانية وإغلاق وبقاء المضائق تحت سيطرة الدولة العثمانية لأهميتها الحيوية للمصالح البريطانية ووقوف الرأي العام البريطاني ضد الأطماع الروسية وتأثيره السياسي على الحكومة البريطانية وقرارها السياسي.

6- مراهنه القيصر الروسي على الخلافات البريطانية الفرنسية وعدم اعتقاده إلى توصل الدولتين إلى حلف يجعلهم في جبهة واحدة ضد الأطماع الروسية في الدولة العثمانية.

7- الاعتقاد الخاطئ بتعظيم دور السفير البريطاني في استانبول ستراتفورد ردكليف بأنه من الأسباب الرئيسة والمهمة في نشوب حرب القرم متناشين أنه مجرد سفير لبلاده في العاصمة العثمانية وأنه بإمكان رئيس الوزراء اللورد أبردين ووزير الخارجية سواء جون رسل أو كلارندون الذي شغل المنصب في تلك الأزمة بإمكانهما إقالاته بكل سهوله وتغييره بسياسي آخر إلا أنهم لم يفعلوا ذلك وهذا يدل على أن ستراتفورد كان ينفذ سياسة بلده وقد يكون نفذها في بعض المواقف بشكل صارم وعنيف أدى إلى تعقيد الأزمة. إلا أن أفعاله لا يمكن أن تكون خارج نطاق السيطرة بسبب التعليمات التي كان يستلمها من حكومته ولاسيما مسألة عدم إدخال الأسطول البريطاني إلى البحر الأسود في بداية عام 1844.

8- ضعف الأداء السياسي للورد أبردين وهو على رأس الوزارة وسعيه المتواصل للمحافظة على الحكومة الائتلافية من الانهيار، وعدم قدرته أيضاً على فرض ارادته السياسية على أعضاء حكومته ولاسيما بالمرستون وجون رسل والأعضاء الآخرين من الجناح المتشدد الذين كانوا يرون ضرورة إيقاف أطماع روسيا في الدولة العثمانية من خلال استخدام القوة العسكرية وهي التي دفعت بريطانيا للاشتراك في الحرب والابتعاد عن الحل السلمي مثل مشروع اولمنز الذي قدمته النمسا وروسيا.

9- الدور البارز الذي لعبته المؤسسات صنع القرار في بريطانيا وعراققتها في صنع القرار السياسي، وأن النصر العسكري والسياسي والدبلوماسي الذي تحقق لبريطانيا في حرب القرم إنما يعود في جزء كبير منه إلى رئيس الوزراء البريطاني اللورد بالمرستون سواء على الصعيد العسكري أم السياسي أو الدبلوماسي وأن تعاطيه مع الوقائع التي حدثت في الحرب والمفاوضات إنما تدل على نظرة ثابتة إلى الأمور مكنته من فهم الواقع السياسي والتعامل معه بشكل ضمن حصول بريطانيا على أغلب أهدافها السياسية المعلنة في حرب القرم والتي كان أهمها المحافظة على طريق مواصلاتها سليماً إلى الشرق.

الهوامش

(1) Eversley, Lord, The Turkish Empire Its Growth and Decay (London, 1918), p. p, 300- 301 ;

- حسين لبيب تاريخ الاتراك العثمانيين (ترجمة)، مصر، 1919، ج 3، ص 21.
- (2) Herkless, J. L." Stratford The Cabinet and the outbreak of the crimean war" The Historical Journal, vol. XVIII, No. 3, 1975., p.509.
- (3) Temperley, Harold. England and the Near East, The Crimea (London. 1936). p. 335.
- (4) Marriott, J.A.R The Eastern Question, A Historical Study in European Diplomacy (oxford. 1918) p. 261. مصطفى كامل، المسألة الشرقية، القاهرة، 1998، ص 122؛
- (5) Anderson, M.S. The Eastern Question 1774– 1923 A study in International Relations(London, 1952) p. 124.
- (6) اللورد ابردين (Aberdeen) 1782– 1861 سياسي ورجل دولة بريطاني وهو احد زعماء حزب المحافظين في القرن التاسع عشر تولى وزارة الخارجية مرتين 1828– 1830 والثانية 1841– 1846 ووزيراً للحرب 1834– 1835، واصبح رئيساً للوزراء البريطاني 1852– 1855 وارتبط بصدقة مع القيصر نيقول الاول، ينظر: Encyclopedia Britannica, vol, 19, p.771
- (7) أ. ب. ج، تايلر، الصراع على السيادة في أوربا 8480– 1918، ترجمة: كاظم هاشم نعمة بونثيل يوسف عزيز، الموصل، 1980، ص 651.
- (8) ستراتفورد (Stratford) هو ستراتفورد رذكليف 1786– 1880، سياسي بريطاني من اسرة سياسيين، دخل السلك الدبلوماسي عام 1807 وعين سفيراً في كل من استانبول 1810 و فينا 1815 وواشنطن 1819 وعاد مرة ثانية الى استانبول 1826 وادى دوراً بارزاً في حل المسألة اليونانية، وفي عام 1832 عين سفيراً في روسيا لكن القيصر نيقولا الاول رفض قبول اوراق اعتداده لخبرته في المسألة الشرقية، عين مرة ثانية سفيراً في الدولة العثمانية للمدة 1841– 1851 ومرة اخرى 1853، ووقف ضد تطلعات الروس في الدولة العثمانية 7818 p.9, The New Universal Encyclopedia.
- (9) Claredon to Stratford 8 June 1853, In Herkless, Stratford, p. 509.
- (10) اللورد بالمرستون Palmerstone 1774– 1865 سياسي ورجل دولة بريطاني تسلم عدة مناصب وزارية فاصبح وزيراً للحربية 1807– 1809 ثم وزيراً للخارجية 1830– 1841 باستثناء 1834– 1835 ووزيراً للخارجية لفترة اخرى 1846– 1851 ووزيراً للداخلية 1852– 1855 ورئيساً للوزراء 1855– 1865 عدى عامي 1858 عندما انتقلت الوزارة الى حزب المحافظين، وبذلك يكون قد تقلد المناصب الوزارية لمدة اربعين عام، ينظر: الان بالمر، موسوعة التاريخ الحديث (1798– 1945) تعريب: سوسن فيصل السامر ويوسف محمد امين، بغداد، 1992، ج2، ص160– 161.
- (11) Temperley, England, p 339 ;
- (12) عبد العزيز سليمان نوار و محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوربي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، القاهرة، دار الفكر العربي، د. ت، ص ص 349– 350.
- (13) نسيلاود 1786– 1862 رجل دولة روسي ينتمي الى عائلة سياسية عريقة امتهن الدبلوماسية منذ صغره، فقد كان والده سفيراً لروسيا في اسبانيا، اسهم نسيلاود في توجيه السياسة الخارجية الروسية مدة طويلة من الزمن من خلال توليه منصب وزير الخارجية اربعة عقود من 1816– 1856 وهو الذي صادق على توقيع معاهدة باريس عام 1856 التي انتهت حرب القرن، ينظر: The New Universal Encyclopedia, Vol, 11, London, 1981, P.6015.

- (14) Miller, William, The ottoman Empire 1801– 1913, (Cambridge– 1923), p. 210.
- (15) عمر طوسون، الجيش المصري في الحرب الروسية- العثمانية المعروفة بحرب القرم 1853-1856، القاهرة، 1993، ص 47؛
- (16) Wood, Anthony, The Nineteenth Century Britain 1815– 1914 (England– 1975) p. 191.
- (17) Wood, Nineteenth Century, op. cit. p. 191.
- (18) Feiling, Keith, A History of England from the coming of the English to 1918 (London– 1950) p. 908 ;
- (19) تايلر، الصراع... ص 85-87.
- (20) Lane– Poole, Stanley, The life of the Right Honorable Stratford Canning (London– 1888) vol. 2, p 280– 281 ;
- (21) هاشم صالح التكريتي، دبلوماسية حرب القرم (1853– 1856)، مجلة المؤرخ العربي، بغداد السنة الرابعة عشر، العدد (36) 1988، ص 111؛ كامل، المسألة...، ص 119.
- (22) جون رسل John Russell 1792– 1887 سياسي ورجل دولة بريطاني تزعم حزب الويك (الاحرار) في مجلس العموم البريطاني عام 1834 ثم أصبح وزيراً للداخلية من عام 1830– 1839 ووزيراً للمستعمرات 1839– 1841 ووزيراً لخارجية مرتين 1846– 1852 والثانية 1858– 1859 Encyclopedia, Britannica, vol, 19, p.723.
- (23) Herkless, Stratford, p.51.
- (24) Temperley, England, p 341 ; ص 83 تايلر، الصراع... ص 83؛
- (25) نوار، جمال الدين، التاريخ الاوربي....، ص 352، التكريتي، دبلوماسية...، ص 108.
- (26) Eversley, The Turkish, p.p 302. 303.
- (27) Ashley, The Hon Evelyn, The life of Henry John Temple viscount palmerston 1848– 1865 (London– 1876) vol 2, p. 30– 31.
- (28) محمد مصطفى صفوت، محاضرات في المسألة الشرقية ومؤتمر باريس، القاهرة، 1958، ص 31.
- (29) Temperley, England, p. p 338– 339.
- (30) ماركس، المسألة الشرقية، حول القوميات في الدولة العثمانية، ترجمة جوزيف عبد الله، بيروت، 1980، ص 97.
- (31) 22- Lane– pool. The life of Stratford, vol 2, p. 280– 281 ;
- (32) بيير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية 1815– 1914، تعريب جلال يحيى، مصر، 1968، ص 337.
- (33) Vulliamy, crimea, the campaign of 1854– 56 (London– 1939) p. p 58– 59 ; Marriott J. A. R. England since waterloo (London– 1913) p. 222.
- (34) Vulliamy, crimea. p. 59.
- (35) Anderson. The Eastern, p. 126 ; Shaw. Stanford j & show. Ezel kural. History of the ottoman Empire and Modern Turkey Reform, Revolution and Republic, the rise of modern Turkey 1808– 1975.(Cambridge– 1977) vol 2. p 138؛
- (36) اسماعيل سرهنك، حقائق الاخبار عن دول البحار، مصر، 1312، ج2، ص 693.
- (37) Anderson, M. S. The Great powers and the near East 1774- 1923, Documents of modern. History (London, 1970)p. p. 77– 79.
- (38) Herkless, Stratford , p. 514 ;

(39) محمد فريد بك المحامي، تاريخ الدولة العلية، تحقيق: احسان حقي، بيروت دارالنفائس، 1988، ص 497.

(40) Anderson, The Great power, p.78.

(41) Ibid, p. 78.

(42) عباس عبد الوهاب ال صالح، سياسة بريطانيا تجاه الدولة العثمانية 1839-1856، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، الموصل 2007، ص ص 176-177.

(43) Aberdeen to clarndon 7 June 1850, In Herkless, (Stratford), p. 499.

(44) Temperley, England, p 349.

(45) Ibid. p. 349.

(46) Cowley to clarndon, 29 Aug, 1853, In Herkless, (Stratford), p. 499- 500.

(47) ولوسكي: دبلوماسي فرنسي ولد في بولندا في 4 أيار عام 1810 في بداية شبابه خدم في الجيش الروسي، ثم ذهب إلى باريس واستقر فيها ثم دخل في الجيش الفرنسي حتى وصل إلى رتبة جنرال عام 1837، وبعد ذلك دخل إلى العمل السياسي خلال عهد نابليون الثالث وفي عام 1848 تم تعيينه سفيراً لفرنسا في الأرجنتين ثم فيما بعد في فلورنسا ونابولي بين عامي (1849-1850) ثم سفير في لندن بين عامي 1850-1855 وفي عام 1855 صار وزيراً للخارجية الفرنسية حتى عام 1860 وفي عام 1865 تولى البرلمان الفرنسي حتى عام 1867 توفي في ستراسبورغ في تشرين الأول عام ينظر: The Encyclopedia Americana (U.S.A- 1967) vol- 28, p. 284, 1868.

(48) Clarndon to Russell, 25 Aug, 1853, In Herkless, (Stratford), p.500.

(49) Lane- Pool, The life of Stratford vol 2, p 307- 308.

(50) نوار جمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث، ص 354.

(51) Anderson. The Eastern, p.126 ; Temperley, England, p 353 .

(52) Ibid. p.p 349- 351.

(53) Ashley, The life of palmetston, vol, 2. p 36- 39.

(54) نوار وجمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث، ص 354.

(55) الملكة فكتوريا 1819-1901 ملكة المملكة المتحدة 1837-1901 خلفت عمها الملك وليام الرابع عام 1837 وشهد عهدها العديد من الاصلاحات السياسية والاقتصادية اهمها الاصلاحات المتعلقة بنظام البرلمان البريطاني خلال الاعوام 1867-1884، عرف عهدها بالعهد الفكتوري نظراً لاهمية الاصلاحات التي قامت بها بالنسبة لبريطانيا توفيت عام 1901 وخلفها في الحكم ابنها ادوارد السابع 1901-1910، ينظر: اندريه مورا، بريطانيا في عهد الملكة فكتوريا، ترجمة: متري نعمان، باريس، د.ت، سيرة دزرائيلي.

(56) Herkless, (Stratford), p.502.

(57) Phillips, W. Alison. Modern Europ, 1815- 1899 (London-1908) p. 346- 348.

(58) تايلر، الصراع...، ص 87؛ يلماز اوزتوتا، تاريخ الدولة العثمانية، ترجمة: عدنان محمود سمان، (استانبول، 1990) ج 2، ص 47.

(59) محمد كمال الدسوقي، الدولة العثمانية والمسألة الشرقية (القاهرة، 1976)، ص 199.

(60) Temperley, England, p. 359.

(61) Anderson. The Eastern, p. 127- 128.

- (62) أ ز ج جرانت وهاولد تمبرلي، أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين 1789-1950، ترجمة: بهاء فهمي، مراجعة الدكتور احمد عزت عبد الكريم (القاهرة، سجل العرب، 2001)، ص 424.
- (63) نوار جمال الدين، التاريخ الاوربي الحديث، ص 355.
- (64) Temperley, England, p. 360.
- (65) Ibid. p.361.
- (66) تايلر، الصراع...، ص ص 85-86.
- (67) وليام ايوارت كلاستون 1809-1898 سياسي بريطاني ولد في ليفر بول في بريطانيا من عائلة اسكتلندية، تلقى تعليمه في كلية ايتون في اكسفورد، تولى رئاسة الحكومة البريطانية للمدة من 1868-1874 ومن 1880-1886، ومن شباط تموز 1886، ومن 1892-1894، ينظر: سهيلة شندي البديري، وليام كلاستون والقضية الايرلندية 1868-1894، اطروحة دكتوراه، جامعة بغداد، كلية الاداب، 2005، ص 11-12.
- (68) F.O. 195- 402, Clarendon to Seymour, 30 sep 1853, No 232, In Herkless, (Stratford), p. 503.
- (69) Temperley, England, p. 356- 7; Lane- pade, The life of Stratford, vol 2, p.316.
- (70) Temperley, England, p. 356 -7.
- (71) كارل ماركس، المسألة الشرقية حول القوميات في الدولة العثمانية، تعريب جوزيف عبد الله وسهيل القش، بيروت، 1980، ص 143.
- (72) Temperley, England, p. 361.
- (73) Walpole, Spencer, The life of lord john Russell, vol 2, p.162; Temperley, England, p.356- 357.
- (74) Ibid. p.356; Vernon John puryear England, Russia, and the Staraits Question 1844-1856, p. 303- 304.
- (75) أحمد ناطق إبراهيم العبيدي، مضائق البسفور والدردينل 1815-1854، اطروحة دكتوراه غير منشورة، مقدمة إلى كلية التربية ابن رشد، جامعة بغداد 203، ص 254.
- (76) Eversley, The Turkish, p. 308.
- (77) Puryear, op cit, p.305.
- (78) العبيدي، مضائق البسفور والدردينل 1815-1854...، ص 255.
- (79) Anderson. The Eastern, Question, p. 127.
- (80) Temperley, England, p 358- 362.
- (81) Lane- Pool, The life of Stratford vol 2, p.308- 9.
- (82) Temperley, England, p. 357.
- (83) Queen Victoria to Clarndon ((oct 1853, in Benson. Esher Tueletters vol 2, p. 554- 5.
- (84) Lane- Pool, The life of Stratford vol 2, p. 308- 9 ; Temperley, England, p.354 ; Anderson. The Eastern, p.126.
- (85) تايلر، الصراع...، ص 87، المحامي، الدولة...، ص 265.
- (86) Temperley, England, p.366-7؛
- (87) التكريتي، دبلوماسية حرب القرن...، ص 111.
- (88) Lane- Pool, The life of Stratford vol 2. p. 310- 311.

(89) صفوت، محاضرات...، ص 38.

(90) Anderson. The Eastern Question, p. 127.

(91) Temperley, England, p. 366.

(92) Ibid. p.365. تايلر، الصراع...، ص 87.

(93) طومسون، الجيش...، ص 118-129.

(94) Ashley, The life of palmetston, vol, 2. p.44- 45.

(95) Queea Victoria. 26 nov. 1853, In Bensor.. Asher. vol2. p.561.

(96) Herkless, (Stratford), p.501 ; كامل، المسألة...، ص 122

(97) Ibid. p.519.

(98) Ibid. p.518.

(99) Marriott.The Eastern, p.368- 9.

(100) Temperley, England, p. 368- 369.

(101) Herkless, (Stratford), p. 513.

(102) Temperley, England, p. 369.

(103) Anderson. The Eastern, p. 128.

(104) كامل، المسألة...، ص 121.

(105) سينوب. من مواني البحر الاسود يبعد 100 ميلاً عن ميناء سيياستول في القرم، عباس عبد الوهاب،

سياسة...، ص 191.

(106) Temperley, England, p.371; Lane- Pool, The life of Stratford vol 2. p.319.

(107) - Marriott.The Englund,p. 223 ; Eversley, op.cit,p.303.

(108) - Temperley, England, p.373.

(109) Herkless, (Stratford), p.517.

(110) Phillips, W. Alison. Modern Europ, 1815- 1899 (London-1908) p. 349.

(111) طومسون الجيش...، ص 118-128.

(112) تايلر، الصراع...، ص 89.

(113) R.J.Evans.The Victorian Age, 1815- 1914.(London 1933), p. 142.

(114) Anderson. The Eastern Question,p. 130.

(115) Marriott.England,p. 219.

(116) Temperley, England, p. 375.

(117) ماركس، المسألة الشرقية...، ص 155.

(118) Hazen, Charles Downer. Europe since 1815 (London. 1910) p. 613.

(119) Eversley, op. cit, p. 303.

(120) Mowat, R.B. A History of European Diplomacy 1815- 1914)((London. 1933) p.101.

(121) Ketbey, D.M.A Histor of Modern Times from 1789 to the presnt day (London 1929) p. 206.

(122) Temperley, England, p.373- 4.

(123) The Cambridg Modern History (Cambridg 1910) vol x1, p.315.

(124) Anderson. The Eastern,p 129.

(125) The Cambridge Modern History vol x1, p. 316.

- (126) Temperley, England, p.375.
- (127) Conaher J.B. the Aberdeen Coalition 1852– 1855: A study In Mid– Ninetieth– Century party politics (Cambridge 1968) p. 239.
- (128) هاشم صالح التكريتي، المسألة الشرقية، (المرحلة الأولى 774 –1856)، (بغداد 1999)، ص187.
- (129) تايلر، الصراع...، ص 651.
- (130) Temperley, England, p.509– 10.
- (131) Phillips, Modern, p. 341. للمزيد المعلومات عن دور الملكة
- (132) حيدر صبري شاكر الخيفاني، الملكة فكتوريا وأثرها في السياسة البريطانية 1837 – 1901 أطروحة دكتوراه، كلية الاداب، جامعة بغداد، 2009.
- (133) Herkless, (Stratford), p.519.
- (134) Temperley, England, p.380.
- (135) Mowat, A History.p. 102.
- (136) Ketlbey Histor, p. 205.
- (137) التكريتي، دبلوماسية حرب...، ص 112 – 113.
- (138) Temperley, England, p.282– 283.
- (139) التكريتي، دبلوماسية حرب...، ص 112.
- (140) Aberdeen to claredon, 21 Feb. 1854, In Herkless, (Stratford), p.508.
- (141) Vulliam, Crimea, the campaign of 1854– 56 (London 1930) p. 66.
- (142) Ibid. p.66.
- (143) Hurewitz, Diplomacy, vol. 1 p. 144– 469.
- (144) اسماعيل سرهنك، حقائق الأخبار...، ج 2، ص699.
- (145) جمال محمود حجر، القوى الكبرى في الشرق الاوسط في القرنين التاسع عشر والعشرين،الإسكندرية، 1989، ص78.
- (146) - Vulliamy, Crimea, p. 46– 54.
- (147) Low, Sidney– Sanders, Lloyd C. History of England During of Victoria 1937– 1901, (London, 1907) p. 104.
- (148) Low– Sanders, The History, p.100;Marriatt J. A. R, Anglo– Russian Relations. 1689– 1943, (London, 1944) p. 93.
- (149) Herkless, (Stratford), p.497.
- (150) Fisher, H. A. L. Auistory of Europe (London, 1942) p.934.
- (151) Morley, John, The Life William Ewart Gladstone (London, 1912) vol. 1 p, 361.
- (152) Anderson. The Eastern,p. 122– 23.
- (153) التكريتي، دبلوماسية...، ص 112 – 113.
- (154) Herkless, (Stratford), p.498 ; Fisher, History, p. 943.
- (155) عباس عبد الوهاب، سياسة....، ص 185.
- (156) Phillips, Modern, p. 344.

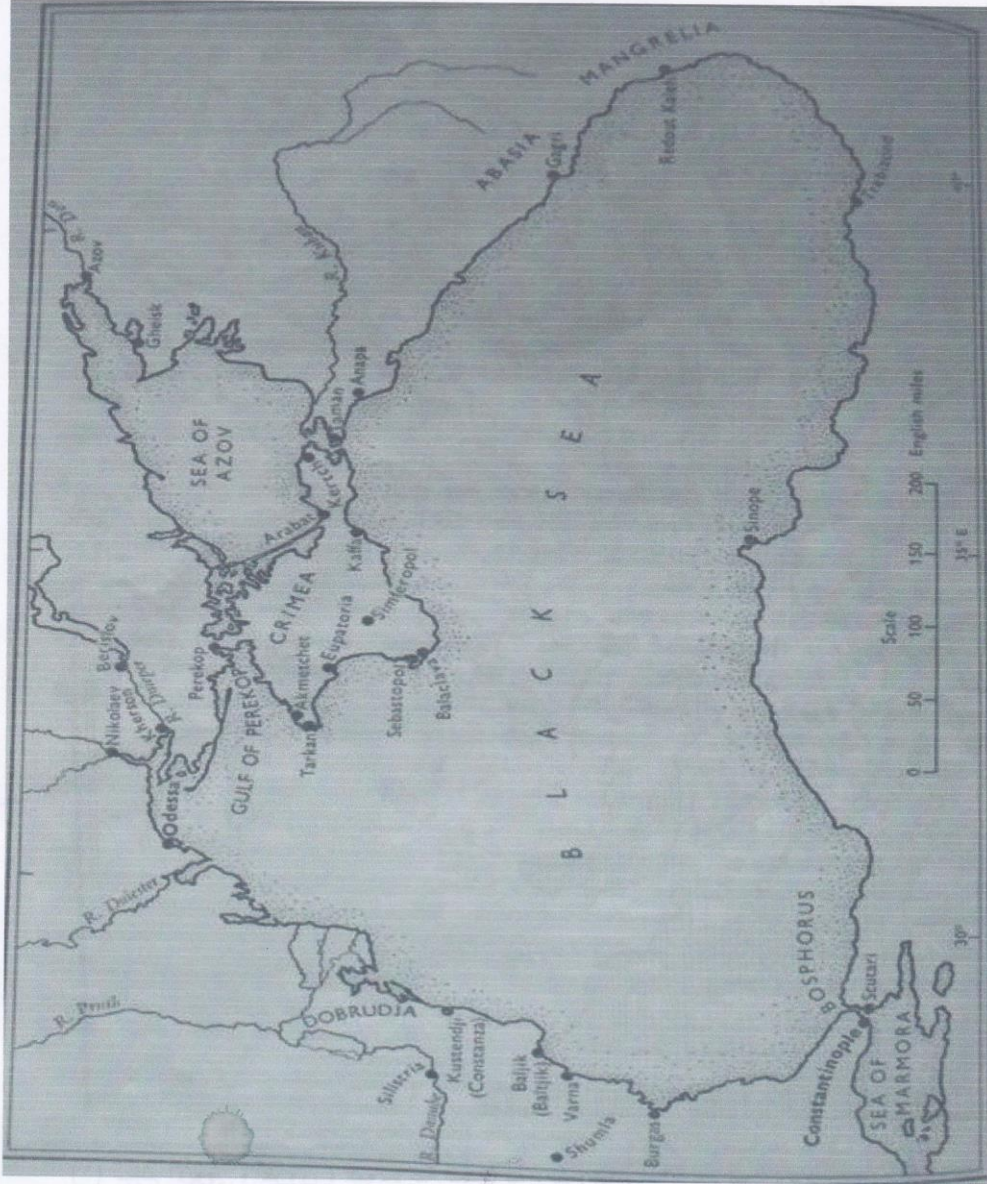
- (157) عبد العزيز سليمان نوار، التاريخ الحديث للشعوب الإسلامية، الاتراك العثمانيون، الفرس، مسلمو الهند، بيروت، 1873، ص 189.
- (158) Feiling, A History, p. 856.
- (159) Ashley, The life of palmerston, vol, 2, p. 213.
- (160) Ibid, vol, 2, p.213.
- (161) Wood, Nineteenth century, ... p. 193.
- (162) Ashley, The life of palmerston, vol, 2, p. 288.
- (163) Temperley, England, p.367– 8.
- (164) Motley, The life of Gladstone, vol, 2, p. 124.
- (165) بيبير رنوفان، تاريخ العلاقات الدولية 1815– 1914، تعريب: جلال يحيى، القاهرة، 1968، ص332؛ جرانث، وتمبرلي، أوربا في القرنين...، ج 1، ص 243.
- (166) المصدر نفسه، ج 1، ص 243.
- (167) Trevelan, George Macaulay, British Histore in Nineteenth Century and after 1782– 1919, p. 457.
- (168) جرانث وتمبرلي، أوربا...، ج1، ص 472؛
- (169) Vulliamy, Crimea, p.65.
- (170) Wood, Nineteenth century, p 192.
- (171) المحامي، تاريخ...، ص 500.
- (172) Marriott.England,p. 264– 265.
- (173) Wood, Nineteenth Century ... p. 195.
- (174) تايلر، الصراع...، ص 99.
- (175) Anderson. The Eastern,p. 133.
- (176) Ibid, p. 132– 133.
- (177) Marriot, The Eastern, p. 267– 268.
- (178) Wood, Nineteenth century, p. 197.
- (179) تايلر، الصراع...، ص 98.
- (180) فيشر هـ. أ. ل، تاريخ أوربا في العصر الحديث (1789– 1950) تعريب احمد نجيب هاشم، وديع الضبع (مصر – 1964)، ص 213.
- (181) Wood, Nineteenth century, p 198, Eversley, op. cit,p.304.
- (182) Wood, Anthony, Europe, 1815– 1945, (London, 1967) p. 189.
- (183) رنوفان، تاريخ...، ص340.
- (184) Motley, John, The life of Richard cobden (London, 1908) vol. 2, p.125 ; Anderson. The Eastern,p.136– 7.
- (185) 169- Conachar, H, B, Britain and the Crimea 1855– 1856, problems of war and peace (New york– 1987) p. 6.
- (186) Anderson. The Eastern,p. 137.
- (187) كامل، المسألة...، ص 129– 131.
- (188) المصدر نفسه، ص 132.
- (189) المصدر نفسه، ص133؛ تايلر، الصراع...، ص109– 110.

- (190) رنوفان، تاريخ...، ص 335؛ جرانت وتمبرلي، اوربا، ج 1، ص 431 ; Vulliamy, Crimea, p 311 - 337
- (191) فشر، تاريخ اوربا، ص 224-225.
- (192) جرانت وتمبرلي، اوربا، ج 1، ص 428.
- (193) صفوت، محاضرات...، ص 48؛ التكريتي، المسألة الشرقية، ص 198
- (194) جرانت وتمبرلي، اوربا، ج 1، ص 431.
- (195) هـ ا. ل. فشر، تاريخ اوربا في العصر الحديث 1789-195، تعريب: احمد تجيب هاشم، وديع الضبع (مصر، 1972) ص 224.
- (196) Eversley, The Turkish, op. cit, p. 95.
- (197) رنوفان تاريخ...، ص 340.
- (198) كامل، المسألة...، ص 135.
- (199) المصدر نفسه، ص 138.
- (200) Anderson. The Eastern, p. 139.
- (201) المحامي، تاريخ....، ص 511.
- (202) رنوفان، تاريخ...، ص ص 335-336.
- (203) 187 - Anderson. The Eastern, Question, p. 140.
- (204) Ibid, p. 141 ; صفوت، محاضرات، ص 48
- (205) تايلر، الصراع...، ص 114.
- (206) Anderson. The Eastern, p. 140.
- (207) فشر، اوربا، ص 225.
- (208) Marriott. The Eastern, p. 275.
- (209) التكريتي، دبلوماسية حرب القرم.....، ص 118.
- (210) روبير مانتيرات، تاريخ الدولة العثمانية: ترجمة: بشير السباعي، ط 1، القاهرة، دار الفكر، 1993، ج 2، ص 138.
- (211) Hurewitz. Diplomacy. vol. 1, p. 153- 156.
- (212) التكريتي، دبلوماسية حرب القرم.....، ص ص 118-119.
- (213) Marriott, A History, p. 182, Anderson. The Great powes, p. 85.
- (214) Ibid, 84. 84.
- (215) مانتران، تاريخ.....، ج 2، ص 139.
- (216) Miller, William, The ottoman Empire (Cambridge, 1913), p. 239.
- (217) - Eversley, The Turkish p. 306- 307.
- (218) 205 - Ibid, p. 309- 310.
- (219) 206 - Marriott, A History, p. 182.
- (220) 207 - Marriott, England, p. 465.
- (221) 208- Jelavich, Barbare m The ottoman Empire. The Great powers and the Straits Question 1870- 1887. (Indiana- 1973) p. 6- 8.

ملحق رقم (1)

~~ملحق رقم (٤)~~

خارطة البحر الأسود وأهم المعارك وأهم المدن التي حاولت بريطانيا إدخالها في مسألة
التحديد التي جرت في المفاوضات النهائية (١)



J . B . Conacher , The Aberdeen Coalition 1852 – 1855 : A study In Mid – Nineteenth
– Century Party Politics , Cambridge , 1968 , P . 448 .

==

